

المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية

Sciertific Journal of Historical and Civilizational Studies

العدد الأول / 2018 م

المحتويـــــــــــــــات :

كلمات افتتاحية

كلمة المشرف العام :

بجهد ذهني وبدني كبير عظيمين من السيدين رئيس ومدير التحرير يبرز هذا العدد إلى النور، وهو الإنجاز العلمي الأول لكلية التاريخ والحضارة، وهو العدد الأول من المجلة العلمية للدراسات التاريخية، لينهل منها طلاب العلم، فمزيداً من الإبداع لأسرة التحرير.

د. سعد الدلال .

كلمة رئيس التحرير :

نهنئ أنفسنا واسرة كلية التاريخ والحضارة بجامعة السيد محمد بن علي السنوسي الاسلامية بالمولود العلمي الجديد بصدور العدد الأول للعام 2018 م. " المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية ، متمنين أن يشارك هذا المولود في نشر النتاج العلمي من الأبحاث والدراسات العلمية الرصينة، ويسهم في الرفع من مستوى البحث العلمي على المستوى المحلي والعالمي.

د. سعيد محمد غريدة .

كلمة مدير التحرير :

البدء، كلمة. لكن مبتدأ الخلق، فعل . هكذا هي قوانين التفكير ومنهجية ابتكار ما لم يكن موجوداً من قبل .

ونحن في هذا العمل حاولنا أن نقدم للجامعة والكلية عملاً يُذكر فيُشكر، ويُقرأ فيستفاد منه، ويوجد ليتواجد، ويبدأ لكي يبقى طويلاً بإذن الله .

نأمل من الله العلي القدير أن يكون صوابنا غالباً على ما قد نقترفه من خطأ، فما المرء إلا ساعٍ إلى بعضٍ من الكمال فيصيب، أو مجتهد يبذل جهده فيجانبه الصواب .

د. الصديق بودوارة

شروط كتابة البحث العلمي ونشره في المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية :

1- ملخص البحث يكون باللغة العربية وباللغة الانجليزية في حدود (150كلمة)

2- المقدمة، وتشمل التالي:

❖ ملخص عن موضوع الدراسة (مدخل) يشمل أهمية الدراسة والمنهج العلمي المتبع فيها.

3- الخاتمة. (أهم نتائج البحث – التوصيات)

4- قائمة المصادر والمراجع.

5- عدد صفحات البحث لا تزيد عن (30) صفحة ولا تقل عن (15) صفحة متضمنة الملاحق وقائمة المصادر والمراجع ،على أن تكون هوامش جانبي الصفحة (2.5) وأعلى وأسفل الصفحة (3).

القواعد العامة لقبول النشر :

1- تقبل المجلة نشر البحوث باللغتين العربية و الإنجليزية والتي تتوافر فيها الشروط الآتية:

- ✓ أن يكون البحث أصيلاً، وتتوافر فيه شروط البحث العلمي المعتمد على الأصول العلمية والمنهجية المتعارف عليها من حيث الإحاطة والاستقصاء والإضافة المعرفية والمنهجية والتوثيق وسلامة اللغة ودقة التعبير .
- ✓ ألا يكون البحث قد سبق نشره أو قُدم للنشر في أي جهة أخرى.
- ✓ أن يكون البحث مراعيا لقواعد الضبط ودقة الرسوم والأشكال – إن وجدت–ومطبوعاً على ملف وورد word،حجم الخط (13) وبخط (Simplified Arabic) للغة العربية. وحجم الخط (12) وبخط (Times New Roman) للغة الإنجليزية .
- ✓ أن تكون الجداول والأشكال مدرجة في أماكنها الصحيحة، وأن تشمل العناوين والبيانات الإيضاحية الضرورية.
- ✓ في حالة التوثيق وفق دليل جمعية علم النفس الأميركية (APA) تثبت هوامش البحث في نفس الصفحة والمراجع في نهاية البحث على النحو الآتي:
  - أن تُثبت المصادر أو المراجع بذكر اسم المؤلف كاملاً، ثم وضع تاريخ نشره بين حاصرتين، ويلي ذلك ذكر عنوان المصدر متبوعا باسم المحقق أو المترجم، ودار النشر، ومكان النشر، ورقم الصفحة.

- عند استخدام الدوريات (المجلات، المؤتمرات العلمية، الندوات) بوصفها مراجع للبحث: ذكر اسم صاحب المقالة كاملاً، ثم تاريخ النشر بين حاصرتين، ثم عنوان المقالة، ثم ذكر اسم المجلة، ثم رقم المجلد، ثم رقم العدد، ودار النشر، ومكان النشر، ورقم الصفحة.

2- تحتفظ المجلة بحقها في أسلوب إخراج البحث النهائي عند النشر.

إجراءات النشر :

ترسل جميع المواد عبر البريد الإلكتروني الخاص بالمجلة وهو كالتالي :

- يرسل البحث الكترونياً إلى عنوان المجلة وهو :
- saeidgrida@gmail.com أو Aglimohada@gmail.com
- أو(نسخة CD) بحيث يظهر في البحث اسم الباحث ومؤهله العلمي، ومكان عمله، ومجال تخصصه.
- يرفق مع البحث نموذج تقديم ورقة بحثية للنشر موجود على موقع المجلة، وكذلك إرفاق للسيرة الذاتية العلمية للباحث إلكترونياً .
- لايقبل استلام الورقة العلمية إلا بشروط المجلة.
- في حالة قبول البحث مبدئيا يتم عرضه على مُحكَمين من ذوي الاختصاص في مجال البحث، ويتم اختيارهم بسرية تامة، ولا يعرض عليهما سم الباحث أو بياناته، وذلك لإبداء آرائهم حول مدى أصالة البحث، وقيمته العلمية، ومدى التزام الباحث بالمنهجية المتعارف عليها، ويطلب من المحكم تحديد مدى صلاحية البحث للنشر في المجلة من عدمها.
- يبلغ الباحث بقرار صلاحية بحثه للنشر من عدمها خلال خمسة عشرة يوماً من تاريخ الاستلام.
- في حالة ورود ملاحظات من المحكُمين، تُرسل تلك الملاحظات إلى الباحث لإجراء التعديلات اللازمة بموجبها على أن تعاد للمجلة خلال مدة أقصاها أسبوعين.
- الأبحاث التي لم تتم الموافقة على نشرها لا تعاد إلى الباحثين.
- الأفكار الواردة في ما نشر من دراسات وبحوث وعروض تعبر عن آراء أصحابها.
- لا يجوز إعادة نشر إي من المواد المنشورة في المجلة مرة أخرى.

القرار الرسمي بتشكيل هيئة تحرير للمجلة :

دولـــة ليبيـا
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
كليـة التـاريـخ والحضـارة

جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية
Mohmmad Bin Ali Assanosi University

الرقم الإشاري: ٠١٠١٠٥ ـ 35

التاريخ: / / هـ الموافق: 16 / 1 / 2017 م

السيد المحترم/أ. د. رئيس جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

بعد فائق التقدير والاحترام:

أُحيل إلى معاليكم مقترح تشكيل اللجنه المشرفة على مجلة كلية التاريخ المعدة، وذلك لإبداء الرأي واصدار قرار تكليف بشأنها:

1- د. سعيد محمد بوغريدة رئيساً للتحرير

2- د. الصديق ابريك بودوارة مديراً للتحرير

اسرة التحرير:

1 أ. يونس علي صالح

2 أ. حمدي خليفه الصادق

3- أ. علي مفتاح حوبلن

4- أ. الفرجاني محمد الفرجاني

5- أ. عادل عوض الزاندي

6- أ. أكرم علي المحروش

7- أ. احسين الفقيه

البيضاء - ليبيا - شارع زيد بن ثابت 069 463 0957 069 570 9127 069 570 3585 - E-mail: islamic bida@yahoo com

دولــــة ليبيــا
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
كليـة التـاريـخ والحضـارة

جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية
Mohmmad Bin Ali Assanosi University

التاريخ : / / هـ الموافق : / / م الرقم الإشاري : ٠١١ . 5 . 35

اللجنة الاستشارية :

1-د. حمد الجهمي (رئيساً)

2-أ. صالح الجراري

3-أ. حمدي علي سعد

4-حماد فضل الله

ولكــــم منــا فائق الاحتـــــرام

د. سعد صالح الدالي

عميد كلية التاريخ والحضارة

نسخة إلى :
وكيل الكلية للشؤون العلمية
رؤساء الأقسام العلمية

الأصول الأولى لسكان المغرب القديم .. بين روايات ابن خلدون وحقائق ما قبل التاريخ.

إعداد :

د. الصديق بودوارة المغربي

جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية.

ملخص البحث باللغة الانجليزية :

In his book "The Lessons in the Office of the Beginner and the News", as well as in his famous introduction, the famous historian Ibn Khaldun lists a large number of accounts which he says tell the story of the first human presence in ancient Morocco and attribute it to its owners, saying that it speaks of the first human races that inhabited and filled Morocco With the Umran and the tribes and the dynasties of them.

But Ibn Khaldun's accounts contrast sharply with the facts uncovered by the excavations, contradict the anthropological and paleoanthropological data, and never coincide with the efforts of prehistoric scholars who have proved that the ancient region of Morocco was rich for centuries. And developed his tools gradually and diligently and learning and benefit from his intellectual property growing, which made him outperform the challenges faced by the founder and based on his presence on this land to reproduce his ancestors after that on their land without the need to come from outside of me But she says, and fill it with novels by Ibn Khaldun without any support or witness a historical reliable.

ملخص البحث :

في كتابه "العبر في ديوان المبتدأ والخبر"، وكذلك في مقدمته الشهيرة، يورد المؤرخ الشهير "ابن خلدون" عدداً كبيراً من الروايات التي يقول إنها تحكي سيرة التواجد الأول للإنسان في المغرب القديم وينسبها لأصحابها قائلاً إنها تتكلم عن الأجناس البشرية الأولى التي سكنت المغرب وملأته بالعمران وتناسلت منها القبائل والبطون بعد ذلك .

لكن هذه الروايات التي يذكرها ابن خلدون تتناقض بشكل كبير وواضح مع الحقائق التي كشفت عنها الحفريات، وتتعارض مع معطيات علم الأنثروبولوجي والباليوأنثروبولجي، ولا تتفق أبداً مع ما كشفت عنه جهود علماء ما قبل التاريخ الذين أثبتوا أن منطقة المغرب القديم كانت عامرةً منذ عصور بعيدة بالإنسان الذي عمرها وسكنها وصنع أدواته وقام بتطويرها بالتدريج وبالمثابرة والتعلم والاستفادة من ملكاته الفكرية المتنامية التي جعلته يتفوق على التحديات التي واجهته وينتصر عليها مؤسساً لوجوده على هذه الأرض ليتناسل أسلافه بعد ذلك على أرضهم دون الحاجة إلى من يأتي من خارجها ليسكنها ويعمرها كما تقول الروايات التي أوردها ابن خلدون بلا أي سند أو شاهد تاريخي يمكن الاعتماد عليه .

مقدمة :

منذ القرن الرابع عشر الميلادي كان "أبي زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الأشبيلي التونسي القاهري المالكي الشهير بابن خلدون" يُبدع كمؤرخٍ وعالم اجتماع، وكان قد سبق عصره بما يكفي لنعتبره اليوم علماً من أعلام فكر اجتماعي وضع أسس الكثير من المفاهيم كالدورة الحضارية والتدرج التاريخي وثنائية البدو والحضر وما إلى ذلك من قوانين .

إن هذا المؤرخ الفذ غني عن تعريفنا له، أو مديحنا لأعماله وجهوده ومناقبه، إلا أن هذا لا يمنعنا من تفحص بعض ما جاء به بعين الناقد لا عين المُعجب، وقراءة مؤلفاته بحس المنتقد المتأمل لا إحساس المنبهر المأخوذ .

ولعل من مواطن التحليل في مؤلفات هذا المؤرخ الكبير، هو ما جاء به في مقدمته الشهيرة، وفي كتابه القيم "العبر في ديوان المبتدأ والحبر"، من روايات نقلها عن الكثير من أصحابها تتحدث عن الأصول الأولى لسكان المغرب القديم، أي عن الأجناس والسلالات الأولى التي عمّرت المغرب وسكنته وملأته بالخلف الذي أصبح سلفاً بعد ذلك بحكم قانون الزمن الذي لا يغير قوانينه في العادة.

إن هذه الروايات تختلف في تفاصيلها إجمالاً، لكنها تكاد تتفق في نهاية المطاف على أن هناك من قدم إلى المغرب من خارج محيطه الجغرافي ليسكنه، وكأنه كان قبل ذلك مقفراً من البشر، خالياً من السكان بل أن "ابن خلدون" يقول إن الذي لا يقبل الشك هو أن العرب والبربر هما الجنسان اللذان عمرا بلاد المغرب منذ الأزل، وهذه شهادة تكاد تنحاز إلى روايات كثيرة أرجعت حتى مسميات القبائل المغاربية إلى أشخاص بعينهم سواءً كانوا ملوكاً أو أمراء أو عابرين أو هاربين من مصيرٍ غامض، فهل هذه هي الحقيقة بالفعل؟ أم أن للتاريخ رأي آخر ؟

إن جهود علماء ما قبل التاريخ تدلي لشهادةٍ مختلفة بهذا الخصوص، وتكشف لنا عن حقيقةٍ دامغةٍ مفادها أن للمغرب القديم ساكنه الأصيل الذي عاصر بدايات المدنية فيه، وسكن كهوفه منذ الأزل وصنع أدواته الحجرية مطوراً تقنيته هذه بتدرج يثير الإعجاب عبر العصور، بدايةً من العصر الحجري القديم الأسفل وحتى بزوغ فجر العصر التاريخي الذي اقتحم به بوابة العصور الحديثة فيما بعد .

هناك إذن تاريخٌ آخر جدير بأن نعترف به، وأن نفضله على رواياتٍ فيها من الخرافة أكثر مما فيها من التاريخ، فهل يمكن أن نركن إلى رواياتٍ تفتقر إلى المنطق ثم نهمل بعد ذلك تاريخاً يتمتع بمصداقية البحث وجهود الاستنباط واجتهاد التنقيب وتقنية العلم وأساليب الكشف الأثري ؟

الإجابة تبدو واضحةً، والتاريخ كذلك ، والمغرب القديم يظل مساحةً جغرافية لم تستورد ساكنيها من خارجها، لكنها كانت دائماً بيئة تنتج معطيات ودودها من داخلها ولا تحتاج لمن ينوب عنها في ذلك .

شعب واحد أم أسماء متعددة ؟

الباحث عن أصول تسمية البشر الذين قطنوا المنطقة الممتدة حدود مصر الغربية وحتى شواطئ الأطلسي، سوف يجد نفسه أمام متاهةٍ من التسميات، وحزمةٍ كبيرةٍ من تحليلات المؤرخين واستنتاجات الكتاب وتكهنات النسابة وتأويلاتهم، وسوف يجد أن لهذه المجاميع البشرية التي صنعت تاريخ هذه المساحة الشاسعة من الجغرافيا أسماء متعددة يستند كل منها على تاريخ مصنوع أو مطبوع أو موضوع*

إن المؤرخين يقدمون لنا حزمةً من المسميات لأولئك الذين قطنوا أرض المغرب منذ القِدم، ويجعلون لكل تسمية ما يبررها من حدثٍ تاريخي مناسب، حتى أن الباحث عن تفسير مقنع أو حلٍ نهائي لمسألة هذه التسمية سوف يضع المزيد من علامات الاستفهام حول مدى مصداقية هذه الأحداث التي قيل إنها كانت أسباباً مباشرةً وراء هذه التسميات، ولكي نحيط بالموضوع بشكل متكامل سوف نبدأ باستعراض التسميات والخلفيات التاريخية التي استند عليها المؤرخون، ثم نطرح وجهة نظرٍ تذهب في

اتجاهٍ ربما يبدو مغايراً بعض الشيء في محاولةٍ لمناقشة هذه المسألة التي يرى الباحث أنها تتجاهل طبيعة المغرب القديم وتاريخه الموغل في العراقة، وتدير ظهرها لحقائقٍ أثبتتها الحفريات وكشفت عنها جهودٌ مخلصة عظيمة لعلماء أجلاء بذلوا أعمارهم في التنقيب والبحث واستنطاق الأدلة الصامتة التي لا تنطق بحرف، فماذا عن إنسان المغرب القديم؟ وأين ذهب أولئك الذين أبدعوا الصناعات الأولى من فأس حجرية وشظايا؟ وهل انقرض فجأة نسل الذين نقشوا على جدران الكهوف مشاهداً لا زالت حتى اليوم مدعاةً للإعجاب والنقاش والتأويل معا ؟

هناك إذن سكان وبشر وقبائل كانت جغرافية المغرب عامرة بهم منذ قديم الأزمنة، ولكن وإذا استعرضنا آراء ابن خلدون ورواياته حول أصول سكان المغرب فإننا نجده يورد عدداً من الروايات هذه أولها :

((يُقال إن "أفريقش" بن قيس بن صيفي"، من ملوك التبابعة، لما غزا المغرب وإفريقية، وقتل الملك "جرجيس"، وبنى المدن والأمصار، وباسمه زعموا، سُميت أفريقية، لما رأى هذا الجيل من الأعاجم وسمع رطانتهم ووعى اختلافها وتنوعها، تعجب من ذلك وقال : ما أكثر بربرتكم، فسموا بالبربر، والبربرة بلسان العرب هي اختلاط الأصوات غير المفهومة، ومنه يُقال : بربر الأسد إذا زأر بأصوات غير مفهومة.)) (1)))

هذه إذن هي الرواية الأولى التي يذكرها "ابن خلدون" في كتابه، فهو يرى أن هذه الرواية هي التفسير للاسم الذي أطلق على القارة بأسرها استناداً إلى اسم "أفريقش" الملك التابعي المذكور، وهي رواية تفسر أيضاً الاسم الذي أطلق على سكان المغرب الأصليين وهو "البربر" ، فماذا عن الأصول الأولى لبقية السكان ؟

((وقال "الكلبي" إن "كتامة" و"صنهاجة" ليستا من قبائل البربر، وإنما هما من شعوب اليمانية تركهما "أفريقش بن صيفي" مع من نزل بها من الحامية .)) (2)

هذه إذن بعض أصول أكبر قبائل المغرب، ورغم أن "ابن خلدون" يورد الكثير من التفاصيل ويذكر عشرات الأسماء لبطون وأفخاذ قبائل المغرب ويرجع كل اسم إلى مسمى خاص به إلا أنه يعود من جديد ليفترض أصلاً آخر لسكان المغرب :

((إن "النعمان بن حمير بن سبأ" كان ملك زمانه في الفترة، وأنه استدعى أبناءه وقال لهم : أريدُ أن أبعث منكم للمغرب من يعمره، فراجعوه في ذلك، وعزم عليهم، وأنه بعث منهم "لمت" أبا "لمتونة"

و"مسفو" أبا "مسوفة"، و"مرطا" أبا "هسكورة"، و"أصناك" أبا "صنهاجة"، و"لمط" أبا "لمطة"، و"إيلان" أبا "هيلانة"، فنزل بعضهم بجبل دون، وبعضهم بالسوس، وبعضهم بدرعا.)) (3)

إن "ابن خلدون" هنا يقول إن هناك رواية تقول إن المغرب كان خالياً من السكان، إلى الحد الذي قرر معه "النعمان بن حمير بن سبأ" أن يبعث بأبناءه ليعمروه، وأنهم لبوا النداء بعد ممانعة قصيرة وقدموا إليه ثم تفرعت من كل رجل منهم قبيلةٌ من قبائل المغرب الكبيرة التي عرفها التاريخ الإسلامي فيما بعد فهل كان المغرب القديم خالياً من السكان إلى هذه الدرجة ؟

قبل أن نبدأ في تبيان الوجه الآخر لهذه المسألة، سوف نتوغل مع "ابن خلدون" في رواية أخرى :

((ذكر آخرون ومنهم "الطبري" وغيره، أن "البربر" أخلاط من "كنعان" و"العماليق"، فلما قُتل "جالوت" تفرقوا في البلاد، وغزا "أفريقش" المغرب ونقلهم من سواحل الشام وأسكنهم "أفريقية"، وسماهم "البربر"(4)

وهنا نصادف نصاً آخر، أو روايةً أخرى تصر على أن سكان المغرب القديم قد تم "استيرادهم" من خارجه، وهذه المرة يكون مصدر القدوم هو بقايا الكنعانيين والعماليق الذين تم استجلابهم من سواحل الشام ليملأوا جغرافيا المغرب الشاسعة بالسكان، ولكن، هل اقتصرت أصول سكان المغرب القديم حسب روايات ابن خلدون على الكنعانيين والعماليق ؟

إن ابن خلدون" يورد نصاً آخر يقول بغير ذلك :

((البربر قبائل شتى من "حمير"و"مضر"و"القبط"و"العمالقة"و"كنعان"و"قريش"، تلاقوا بالشام ولغطوا فسماهم "أفريقش" البربر لكثرة كلامهم، وسبب خروجهم عند "المسعودي" و"الطبري" و"السهيلي" أن أفريقش استجاشهم لفتح افريقية وسماهم "البربر" وينشدون من شعره :

بربرت كنعان لما سقتها .. من أراضي الضنك للعيش الخصيبِ)) (5)

إن الأصول الأولى لسكان المغرب حسب هذه الرواية هي عبارة عن خليط ، لكنه خليط من قبائل معروفة ومحددة سلفاً، والإشارة هنا واضحة ونشطة باتجاه التأكيد على الأصول العربية القحة من خلال إقحام اسم "قريش" وهي القبيلة ذات البعدين القبلي والديني معاً *.

على أن "ابن خلدون" لا يكتفي بهذه الروايات، إنه يستجلب رواية أخرى تحاول أن تجد سبباً آخر لقدوم من "عمروا" المغرب ومجيئهم من الشام :

((وقال "ابن الكلبي" : اختلف الناس فيمن أخرج البربر من الشام، فقيل : داوود بالوحي، قيل : ياداوود أخرج البربر من الشام فإنهم جذام الأرض*، وقيل : "يوشع بن نون"، وقيل : "أفريقش"، وقيل : بعض الملوك التبابعة.)) (6)

وعند هذه الرواية بالذات، سوف تتشعب التفاصيل وتتعدد، وسوف نقرأ لابن خلدون هذه الرواية التي تدعو إلى التأمل والنقاش معاً :

((وذكر بعض أهل الآثار أن الشيطان نزغ بين بني حام وبني سام، فوقعت بينهم مناوشات كانت الدبرة فيها لسام وبنيه، وخرج سام إلى المغرب، وقدم مصر وتفرق بنوه، ومضى على وجهه يؤم المغرب حتى بلغ "السوس الأقصى"، وخرج بنوه في إثره يطلبونه، فكل طائفة من ولده بلغت موضعاً وانقطع عنهم خبره، فأقاموا بذلك الموضع وتناسلوا فيه.)) (7)

هكذا إذن يرى "ابن خلدون" في هذه الرواية أن الجذور الأولى للقبائل الكبيرة في المغرب ترجع كل منها إلى ابن من أبناء سام، وعلى هذا فسوف تجد أثناء قراءتك لكتابه أن ثمة رواية تقول مثلاً إن "بر بن قيس" ولدت له امرأته ولدين هما "علوان" و"مادغيس"، فمات "علوان" صغيراً وبقى "مادغيس"، فكان يلقب بالأبتر، فهو أبو "البتر" من البربر ومن ولده جميع قبائل "زناتة".(8)

إلا أن مصداقية النقل تقتضي أن نعود فنذكر أن "ابن خلدون" بعد أن أورد في كتابه عشرات الروايات عن أصول سكان المغرب وجذور قبائله وأنسابها، يعود ويبدأ في تفنيد هذه الروايات واحدةً بعد الأخرى مبتدأً بأن القول إنهم من ولد "ابراهيم" هو قولٌ بعيد، وأن القول بأنهم من ولد العماليق وأنهم انتقلوا من ديار الشام هو قول يصفه بالساقط، الذي يكاد يكون من أحاديث الخرافات، وأما القول بأنهم من "حمير" من ولد "النعمان" أو من "مضر" من ولد قيس بن عيلان، فيصفه بأنه منكر من القول وأما ما ذهب إليه "ابن قتيبة" بأنهم من ولد "جالوت"، وأن "جالوت" من ولد قيس بن عيلان، فهو قول بعيد عن الصواب (9)،وإذا كان هذا هو قوله في الروايات الكثيرة التي أوردها، فأين يرى "ابن خلدون" الحقيقة إذن؟

إنه يقرر بعبارة واضحة أين يرى الحق في هذا الموضوع :

((والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم أنهم من ولد ""كنعان بن حام بن نوح" كما تقدم من أنساب الخليقة، وأن اسم ابيهم "مازيغ"، فلا يقعن في وهمك غير هذا فهو الصحيح الذي لا يُعدل عنه.)) (10)

إن "ابن خلدون" إذن يعود إلى إحدى رواياته التي ذكرها سابقاً، وينحاز إلى أنهم من نسل "حام بن نوح" الذي أصبح لونه أسوداً بدعوةٍ من أبيه ـ حسب الخرافة اليهودية الشهيرة *ـ ، إلا أنه لا يكاد يرى غير هذه الحقيقة محلاً لثقته، ولا يعترف بغيرها مصدراً لهذه المجاميع البشرية الكثيرة التي سكنت المغرب منذ أقدم العصور.

وخلاصة المعنى أن "ابن خلدون" يرى أن العرب والبربر هما **((الجيلان اللذان عُرف بالمغرب مأواهما، وطال فيه على الأحقاب مثواهما، حتى لا يكاد يتصور فيه ما عداهما، ولا يعرف أهله من أجيال الآدميين سواهما))** بحسب نصه في مقدمته الشهيرة (11)، فإذا كانت هذه هي روايات "ابن خلدون" ورأيه واعتقاده، وإذا كان يرى أن هؤلاء هم أهل المغرب الذين عمروه وسكنوه، وأنه حسب تعبيره: **((لا يُعرف من أجيال الآدميين سواهما))**، إذا كانت هذه هي وجهة نظر الروايات فأين هي مصداقية الشواهد وأدلة التاريخ إذن ؟

إن الاستعراض الأوليّ لما يدلي به علم ما قبل التاريخ عن الأجناس الأولى التي سكنت المغرب القديم سوف يقودنا إلى مسميات مرتبطة بالعصور والأدوات، وهي مرتبةً ترتيباً زمنياً على النحو الآتي:

1. العصر الحجري القديم الأسفل :

وهو عصر يُشار إليه في العادة بعصر حضارة الحصاة المهيأة، وفيه تم العثور على أقدم أدوات حجرية في طبقات جيولوجية مواجهة لشاطئ المحيط الأطلسي بمنطقة "سيدي عبد الرحمن" قرب مدينة "الدار البيضاء" وكذلك قرب مدينة "الرباط" في المغرب الحالي.(12)

إن هذه الأدوات البدائية هي عبارة عن مجاميع من الحصي تم تشذيبها بفعل إرادة إنسان وتحويلها إلى أدوات صالحة للاستعمال البشري، أي أن هناك إنسان كان يقطن هذه المنطقة منذ العصر الحجري القديم الأسفل قام بالمحاولات الأولى لصنع أدواته الخاصة به .

ولا يقتصر هذا الحدث على أقصى المغرب القديم فقط، فقد تم العثور على أدوات أكثر تطوراً في موقع "عين الحنش" في شرق الجزائر الحالية، وكذلك تم العثور على أدوات مشابهة في موقع "رقان" في الصحراء الجزائرية، وكذلك في موقع "بئر دوفان" في ليبيا شرق مدينة طرابلس الحالية، أما في تونس فقد عُثر على أدوات من هذا النوع في منطقة "شط الجريد" في "اقبلي" وكذلك "قصر لمسة" قرب بلدة "الوسلاتية"، ورغم عدم العثور على عظام بشرية في هذه المواقع إلا أن الأدوات التي تم العثور عليها تثبت أن هناك من قام بصنعها منذ فترةٍ تزيد عن المليوني عاماً مضت .(13)

وقد تطورت هذه الأدوات تدريجياً لتصل إلى الفؤوس اليدوية أو ما يعرف بحضارة الأدوات ذات الوجهين التي توزعت لقياتها على مدى جغرافية واسعة تمتد من مستوطنة "تغنيف" قرب مدينة "مستغانم" الجزائرية وقد تم تأريخها بـ 600 ألف سنة ، وكذلك موقع "سيدي عبد الرحمن" بالقرب من الدار البيضاء في المغرب الحالي، بالإضافة إلى مواقع "عين فريطيسة" قرب "وجدة" في المغرب، و"رزازات" في المغرب الأوسط، و"وادي الخميس" بين الرباط ومكناس، و"وريدان" شمال "تلمسان"، و"تاقدمت" قرب الجزائر العاصمة، و"العوينات" جنوب سوق أهراس، و"الماء الأبيض" جنوب "تبسة" في الصحراء الجزائرية،و"سيدي الزين"و"كم المازن" شمال غرب تونس، و"المتلوي"و"قفصة" جنوب غرب تونس،و"وادي الشاطئ" شمال مدينة سبها الليبية.(14)

إن إنسان هذا العصر هو من ابتكر هذه الأدوات، وهو من قام بعمارة المغرب القديم منذ الفترة من مليون وخمسمئة سنة إلى المئة ألف سنة الأخيرة ، سابقاً كل من عداه من هجرات أقبلت بعد ذلك، وهو الإنسان الذي شغل هذه المرحلة الزمنية التي تُعتبر من أهم وأطول مراحل تاريخ الإنسانية، وكانت مواقعها حول الأودية والسهول ومصادر المياه العذبة آنذاك، وكانت هذه التجمعات البشرية في العصر المطير تلجأ إلى الكهوف والمغارات، وبانتهاء هذا العصر كانت تهبط لمناطق السهول حيث تمارس الجمع والالتقاط مستعينةً بالأدوات التي تم اكتشافها (15)

وقد عُرف هذا الإنسان باسم "إنسان الأطلس" وهو ينتمي لسلالة الإنسان منتصب القامة الذي افتتح فصلاً جديداً في الحضارة الإنسانية بمجرد وقوفه على قدميه*، وهو الإنسان الذي سكن كامل منطقة المغرب القديم وانتشر في كل مواضعها كما سبق .(16)

2. العصر الحجري القديم الأوسط :

عاش أصحاب حضارة هذا العصر على طول السفوح الجنوبية لجبال الأطلس في مواجهة الصحراء في الجزائر وتونس، وكانوا أصحاب الحضارة القفصية التي اشتهرت بأنها حضارة أدوات متطورة عُرفت باسم حضارة النصال التي ابتكرت صناعة الشظايا وهي مرحلة متطورة من مراحل صناعة الأدوات. (17)

ويمتد هذا العصر على مدى يتراوح من (100 ألف ـ 35 ألف سنة)، ورغم قصر هذه الفترة ومحدوديتها الزمنية بالمقارنة مع سابقتها، إلا أنها أغنى منها حضارياً وأوفر تقنية وتجهيزاً بالنسبة لأدواتها التي استعملت من قبل إنسان هذا العصر.(18)

إن ساكن المغرب في هذا العصر أثبت وجوده في هذه المنطقة الشاسعة الممتدة من غرب مصر حتى ساحل المحيط الأطلسي، وتمكن من تحسين جودة أدواته فابتكر المقاشط والمثاقب والسكاكين، وسكن مواقعه المفضلة قرب مصادر المياه في "جبل إغود"*و"تافورالت"*و"تايميه"*و""غافاس"*و"وادي العكاريت"*و"القطار"*و"عين متهرشم" و"عين امغطة"* و"كهف هوا افطيح" * و"وادي غان"*، ومنذ ما يزيد عن 35 ألف سنة عرفت جغرافيا المغرب القديم حضارات متميزة امتدت على مساحات شاسعة من المحيط الأطلسي إلى حوض وادي النيل، ومن البحر المتوسط نزولاً إلى مشارف أفريقيا السوداء مروراً بالصحراء الكبرى، وقد كان صاحب هذه الحضارات هو ذلك الإنسان الذي عُرف بالإنسان العاتري*(19)

وإذا كانت القارة الأوربية قد عرفت حضارات تتناسب مع قدوم الدور الأخير من العصر الحجري القديم فإن منطقة المغرب القديم عرفت بدورها حضارتين مهمتين واكبتا هذا العصر واسهما بنصيب حضاري ساهم في الدفع قدماً بمسيرة البشرية نحو مرحلةٍ جديدة، وهما كالآتي :

أ ـ الحضارة الوهرانية :

هي حضارة ساحلية انتشرت مواقعها في مواقع عديدة من ليبيا شرقاً حتى المغرب غرباً، وتعرف بحضارة النصال الصغيرة، وأغلب أدواتها من العظم والصوان، وكان أصحابها يفضلون المواقع القريبة من الغابات حيث عاشوا على الجمع والالتقاط.(20)

ويعتبر تسميتها بالوهرانية حلاً موفقاً تم إخراجها بموجبه من دائرة التبعية لحضارات شبه جزيرة إيبيريا الاسبانية، وهو خلط وقع فيه الأوربيون بربطها بحضارات بلاد "المور" كما كانوا يسمون الشمال الأفريقي بشكل عام، فكانت تسميتها باسم أهم مواقعها بمثابة خروجٍ آمن من هذا اللبس .(21)

ومنذ ما يقارب 18 ألف سنة بدأ إنسان هذه الحضارة في صناعة أدواته المتميزة بصغر الحجم ودقة التقنية بالإضافة إلى استعماله للعظام ولجوءه إلى تلوينها بعد أن عرف كيف يسحق مواد التلوين المختلفة وهو تطور أحرزته تلك المجاميع البشرية التي تم العثور على هياكلها العظمية في مختلف مواقع هذه الحضارة بحيث تجاوزت 300 هيكل تنتمي إلى الإنسان العاقل Homo sapiens. ، وقد عُرف في المغرب القديم بإنسان مشتى العربي*

ب . الحضارة القفصية *:

حضارة قارية بعيدة عن الساحل، تتفوق بمراحل على الوهرانية من حيث تقنية صناعة الأدوات، وانتشرت على كامل المنطقة الوسطى للجزائر بالإضافة إلى جنوب غرب تونس، ونسبت من حيث التسمية إلى قفصة في الجنوب التونسي، وامتازت في مرحلتها الأولى بالتركيز على استخدام الصوان، ثم تنوعت في المرحلة الثانية أنشطة أصحابها وتطورت اتجاهاتهم الطقوسية إلى درجةٍ كبيرة بحيث اعتبرت هذه الحضارة خير تمهيد للدخول في العصر الحجري الحديث فيما بعد .(22)

إن هذه المجامبع البشرية الخلاقة هي التي طورت المفهوم العقائدي في مرحلة مبكرة من تاريخ البشرية، وهي التي توددت إلى القوى الروحية الغامضة، وعرفت طلاء عظام الجثث بالمغرة* ، ودفنتها في وضعية الجنين، وجهزوا قبور موتاهم بالأثاث الجنائزي. وهو الإنسان الذي افتتحت معه البشرية مسيرة الفنون والتعبير عن المشاعر بالرسم والنقش معاً .(23)

3. العصر الحجري الحديث :

واصل إنسان المغرب القديم تطوره في هذا العصر، وسواءً في مواقع الحضارة الوهرانية على الساحل، أو عبر المناطق الصحراوية جنوب الرقعة الجغرافية الواسعة الممتدة من ليبيا حتى موريتانيا مروراً بتونس والجزائر والمغرب، كانت معالم حضارة العصر الحجري الحديث تتضح موقعاً بعد موقع، وكانت روح التعاون بين المجاميع البشرية التي تجمعت على مصادر المياه قد مهدت لظهور بوادر اقتصاد زراعي رعوي يعتمد على استنبات البذرة واستئناس الحيوان، ويوماً بعد آخر كان إنسان المغرب القديم قد بدأ في التغلب على بيئته وتطويعها لمصلحة وجوده وتطوره، وكانت مفاهيم العصر الجديد قد بدأت تفرض وجودها كالملكية الخاصة والجيرة والتكافل وغيرها من مستلزمات التطور الحضاري الجديد ليدخل المغرب فترةً حضاريةً متميزة اجتماعياً واقتصادياً وفكرياً (24) كانت كهوف جبال الهقار والتاسيلي تشهد ما يشبه الثورة الفنية التي نقشت إبداعها على جدران المغارات وسقوفها مصورةً معالم حياة أولئك البشر المثابرين وحملات صيدهم وبيئتهم وقصص مطاردتهم لفرائسهم كالثيران والبقر والزرفة والغزال وغيرها من قائمة الطعام الطويلة التي كانوا يعيشون عليها.(25)

إن سكان المغرب القديم الذين أدخلوه في العصر الحجري الحديث ـ وهم العناصر الوهرانية والقفصية ـ لم يكونوا يختلفون تشريحياً عن سكان الشمال الإفريقي في الوقت الحاضر، فإنسان مشتى العربي مثلاً كان قد استقر في جهة الغرب وتوغل جنوباً، فيما تواصل وجود بقية الأجناس سواءً بالاندماج أو التوزع الجغرافي عبر هذه المساحة الشاسعة مع الأخذ في الاعتبار قدرة الأجناس والأعراق

البشرية على الاستجابة لتحديات تفرضها الظروف المعيشية أو ظروف الترحال والتنقل ومرور الزمن وتأثيراته المختلفة .(26)

وإذا كانت هذه هي الحقائق التاريخية المتعلقة بسكان المغرب القديم منذ الأزل، فماذا عن قبائله التي ذكرتها المصادر التاريخية المصرية القديمة، وكيف تم إغفالها وإهمالها عند الحديث عن سكان المغرب القديم ؟ وبأي منطق يمكن لنا أن نتجاهل حقيقة تاريخية كبيرة مثل تلك المتعلقة بقبائل شكلت مجتمع المغرب القديم خلال تماسه المثير للجدل مع الدولة المصرية القديمة ؟

اللوبي ومدى تطابقه مع المغاربي :

مما لاشك فيه أن هناك مجتمعاً مغاربياً قديماً كان على تماس مباشر مع الدولة المصرية القديمة، وهذا المجتمع تشكل من قبائل الليبو والتحنو والمشواش وقبائل أخرى ربما كانت أقل عدداً وأقل ذكراً في المصادر المصرية التي كانت منبع معلوماتنا الوحيد عن هذا المجتمع .

ويبدو أن "الليبو" شكلوا أكبر هذه القبائل وأكثرها امتداداً حيث أن حضورهم لم يقتصر على غرب النيل فقط بل امتد حتى شغل كامل الشمال الإفريقي منذ الألف الثانية قبل الميلاد.(27)

إن المصادر المصرية صورت المجتمع المغاربي القديم الذي عاصرها واحتك بها، فأظهرت لنا مجتمعاً قبلياً بالدرجة الأولى تسوده خصائص متشابهة كعادة المجتمعات القبلية في كل مكان، له مظاهره الحضارية المحددة، وله اقتصاده الذي اعتمد على الزراعة والرعي، وله صناعاته البسيطة كالفخار والأسلحة، وله تجارته التي كانت تعتمد على القوافل والطرق التجارية التي كانوا يحفظونها عن ظهر قلب.(28)

كان هناك إذن مجتمع مغاربي متكامل الأركان منذ الألف الثانية قبل الميلاد، عرف النظام الأسري الكامل، وعرف تعدد الزوجات، ونظام الزعامة السياسية والعسكرية بتقاليد وراثة الحكم والمجالس الحاكمة فيه، كما عرف الموسيقى والنماذج الأولى لآلات العزف، وعرف كذلك الوشم ومستلزمات الزينة أيضاً (29)

هذه هي الحقيقة التاريخية التي لا مكان فيها للروايات الخيالية أو المبالغات المشكوك في صحتها من الأساس، وإذا كان التعريف المعتمد لمصطلح "المجتمع" أنه ذلك الكيان الجماعي المكون من بشرٍ تجمعهم شبكة من التفاعلات الدائمة والمستقرة نسبياً بحيث تسمح باستقراره وتجدده وبقاءه على مر الزمان (30)، وإذا كان التعريف الأكثر قرباً من الحالة المغاربية هو ذلك الذي ينص على أن المجتمع

هو جماعة بشرية تشمل عدداً غير محدد من الناس يعيشون في أرضٍ محددة المعالم فترة طويلة من الزمن، فتنشأ بينهم روابط ثابتة .(31)

إذا كانت هذه هي التعريفات الأكثر ملائمة لفهم الحالة المغاربية، فبأي منطق يمكن لنا أن نصدر أحكاماً مسبقة تجزم بأن هذه المساحة الجغرافية الهائلة، كانت فراغاً لا يسكنه أحد، حتى قيض الله له من يرسل أبنائه ليعمروه، أو من يحشد له القبائل من خارج محيطه البشري ليسكنوه ويملأوا أرجاءه بالنسل بعد أن كان خالياً على عروشه من الساكنين .

إن التسليم بمنطقٍ كهذا هو أمر من شأنه أن يهمل عن سابق تصورٍ وتصميم تاريخ طويل وحقيقي من الأحداث الموغلة في القدم، ومن شأنه أن يستخف بجهود علماء كبارٍ أفنوا أعمارهم وضحوا بمصالحهم وحيواتهم ومهنهم في سبيل الكشف عن ما خفي من تاريخ البشر السحيق*.

النتائج :

1. إن ما ذكره "ابن خلدون" من روايات بخصوص الأصول الأولى لسكان المغرب القديم تعتبر جهداً جديراً بالثناء، كونه اجتهد في التجميع ونسب كل رواية إلى صاحبها بأمانة المؤرخ التاريخي النزيه، لكن هذه الروايات في مجملها تحتاج منا إلى جهدٍ مماثل في التدقيق والتمحيص، وذلك لأن ما كشفت عنه الحفريات هو حقيقة علمية مناقضة تماماً لروايات مشكوك في صحتها من الأساس .

2. إن ما كشفت عنه الحفريات هو الحقيقة العلمية التي توصلت إليها جهود العلماء الأجلاء الذين بذلوا أعمارهم في سبيل أن ننعم نحن اليوم بنور الكشوف التاريخية المهمة، لذلك ينبغي أن ندرك أن إصدار الأحكام التاريخية بدون سندٍ تاريخي أو شاهد أثري هو محض تخمينٍ لا يليق بالمؤرخ ولا بالتاريخ على حدٍ سواء .

3. إن المغرب القديم هو مساحة جغرافية هائلة الاتساع، سكنها منذ القدم إنسان هذا المغرب، وعمرها وأثثها بتواجده وأدواته وحضاراته المتعاقبة على مر العصور، ولم يكن المغرب بحاجة إلى من يأتيه وافداً ليسكنه، ولا إلى من يجتاحه غازياً فيقهره، ولا إلى من يتسرب إليه مهاجراً فتتخرج من نسله القبائل وتتفرع البطون.

الخاتمة :

منذ أن تغيرت مفاهيم الحقائق التاريخية، وأصبح العلم الحديث يقوم على مبدأ الاحتمال بينما كان المنطق القديم يقوم على مبدأ اليقين (32)، أصبح لزاماً على الباحث أن يتقصى الحقائق، لا أن يسّلم بصحة الروايات، وأن يطرح علامات الاستفهام قبل أن يؤمن بالإجابات سابقة التجهيز.

وانطلاقاً من هذه النقطة بالذات، كان يجب أن نلتفت إلى ذلك الكم الهائل من الروايات التي وردت في كتب التراث عن الأصول الأولى لسكان المغرب القديم، ولعل من أبرز المؤرخين وأشهرهم وأكثرهم نشاطاً وولعاً بالتجميع والكتابة هو المؤرخ الشهير وعلم الاجتماع البارع " أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الأشبيلي التونسي القاهري المالكي الشهير بان خلدون .

في كتابه "العبر في ديوان المبتدأ والخبر"، يذكر المؤرخ الشهير "ابن خلدون" جملةً من الروايات التي تنسب السكان الأوائل الذين عمروا المغرب القديم إلى مللٍ ونحلٍ قدمت من الحجاز وشبه الجزيرة، ويرجع الأصول الأولى إلى قصصٍ وسيرٍ لم يثبت لها سندٌ تاريخي أصيل، ولم تشهد بصحتها شواهد أثرية حاسمة، ولم يرجح كفتها دليل مادي قاطع.

وكان يمكن لنا أن نلتمس العذر للمؤرخ المجتهد لولا أنه ذكر في كتابه هذه العبارة في معرض تأكيده على أصول سكان المغرب :

((والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم أنهم من ولد ""كنعان بن حام بن نوح" كما تقدم من أنساب الخليقة، وأن اسم أبيهم "مازيغ"، فلا يقعن في وهمك غير هذا فهو الصحيح الذي لا يُعدل عنه.))

وعندما ذكر "ابن خلدون" سيرة "مازيغ" هذا، فإنه قال :

((وقيل إن البربر من ولد حام بن نوح بن بربر بن تملا بن مازيغ بن كنعان بن حام .))

ويروي تلك القصة الشهيرة عن دعوة نبي الله نوح على ولده "حام" مما جعله يلجأ إلى المغرب ومعه حيان من اليمن هما كتامة وصنهاجة، وهما من أكبر قبائل المغرب بعد ذلك.

إن "ابن خلدون" إذن ينحاز إلى روايات عديدة، ويجعلها مصدراً لا غنى عنه إذا أردنا معرفة الأصول الأولى لسكان المغرب القديم، وإذا كان هذا مقبولاً في زمنه، فليس لائقاً بنا بعد كل هذه الاكتشافات وما أتت به الحفريات من نتائج، وما كشفت عنه جهود علماء ما قبل التاريخ من أدلةٍ

تاريخيةٍ موثقة ومثبتة ومدعمة بالشواهد والأسانيد، ليس لائقاً أن نواصل الاستشهاد بهذه الروايات كلمنا واجهنا سؤال عن أصول سكان المغرب القديم، ولا يجوز لنا الآن إلا أن نعتبر شهادات ابن خلدون في كتابه القيم هذا إلا اثر من الماضي يدل على اجتهاد صاحبه وحبه للتقصي وميله للجمع وسعيه المشكور للبحث، ليس إلا ، أما الحقيقة التي ثبتت وتأكدت فهي تلك التي أخبرتنا عن ماضٍ سحيق موغل طالما كتب أحداثه إنسان الأطلس، وصنع أدواته وعمّر مساكنه سكان المغرب وأهله من العاطريين ومشتى العربي والقفصيين والوهرانيين وأصحاب هوا افطيح وحقفة الضبع وغير ذلك من مواقع ماقبل التاريخ التي كانت عامرةً بأهلها، مزينةً جدران كهوفها بنقوشهم الصخرية التي صورت معالم حياتهم القديمة.

الهوامش :

• هذه التسميات نشأت أولاً من بيئة الشعر وبنية القصيدة، ويمكن تعميم معانيها بعد ذلك على ما عداها من أصناف الكتابة ومنها الكتابة التاريخية، فقياساً على النص الشعري يكون النص التاريخي المصنوع هو ذلك النص الذي يدقق صاحبه جيداً في كتابة نصه التاريخي ولا يجيز أي حدث تاريخي إلا بعد التأكد والتحري والتمحيص، أما المطبوع فهو ذلك الذي يكتب على السليقة بدون مراجعة نصوصه أو تمحيصها، بينما يكون "الموضوع" حدثاً تاريخياً مفتعلاً لا صحة له . للمزيد :

إبراهيم محمد الحمداني، المصطلح النقدي في كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت،1971، باب حرف الميم، ص 232.

(1) ابن خلدون، العبر في ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الكتاب الثالث، أخبار البربر والأمة الثانية من المغرب، وذكر أوليتهم، منشورات بيت الأفكار الدولية، ص1597.

(2) المرجع نفسه، ص1597.

(3) المرجع نفسه، ص 1598.

(4) المرجع نفسه، ص1598.

(5) المرجع نفسه، ص 1599.

• قريش : ينحدر نسبها من "كنانة"، وهي أم قريش، وكل قرشي يُنسب إلى كنانة، والبعض يقول إن كنانة كانت رجلاً، إلا أن الغالب أنها قبيلة انحدرت عن قبيلةٍ أخرى هي "خُزيمة"، والانحدار هنا هو تفرق القبيلة الأم بعد تجمعها نتيجة لظروف العيش في الصحراء ثم تجمعها مرة أخرى تحت اسم جديد هو اسم فرع من فروعها قام بعملية التجميع، وكنانة تميزت بفرعيها الكبيرين وهما "النضر"و"عبد مناة"، وكانت مضاربها قرب مكة، وتنتسب قريش إلى فرع "النضر" الذي عُرف عنه أنه سمي كذلك لنضارته وإشراق وجهه، واسمه "قيس" وأمه "مرة بنت مر بن الياس بن مضر"، ويقول بعض النسابة أن

أول من لقب بالقرشي هو "النضر" هذا ، إلا أن هناك روايات أخرى تختلف ومنها الرأي الذي يقول إن "قصي بن كلاب هو أول من سمي بالقرشي ومهما اختلف الروايات فإن الغالب هو أن التحول إلى اسم "قريش" بدأ مع فرع من فروع النضر هو فرع "فهر بن مالك" ، واستمر التحول والتجمع حول فرع من فروع فهر هو "عامر"، ثم فرع آخر هو "لؤي بن غالب بن فهر"، وانقسمت القبيلة التي كانت في طور التكوين إلى فرعين رئيسيين هما "لؤي بن غالب" و"عامر بن غالب"، ومن هذين القبيلين نشأت نواة قريش. للمزيد:

حسين مؤنس، تاريخ قريش، منشورات الدار السعودية للنشر والتوزيع،ط1،الرياض،1988، ص ص 72-73.

• الجذام : مرض معدي مزمن يصيب الجلد بشكل رئيسي، والأعصاب المحيطية ومخاطية المسالك الهوائية العليا والعينين وغير ذلك من مواضع الجسد، وقد عانى البشر من هذا المرض منذ القدم، وكان ينتشر في القارات مخلفاً وراءه صور بشعة في صفحات التاريخ ومناطق مظلمة في ذاكرة الإنسانية لما يتسبب به من تهميش واحتقار واستبعاد للمصابين به . للمزيد :

الجذام، داء هانسن، تقرير صادر عن منظمة الصحة العالمية، المجلس التنفيذي، الدورة 126،البند 24 من جدول الأعمال،22 يناير 2010،ص2.

(6) ابن خلدون، العبر في ديوان المبتدأ والخبر، مرجع سابق،ص1599.

(7) ابن خلدون، العبر في ديوان المبتدأ والخبر، مرجع سابق،ص1600.

(8) المرجع نفسه،ص1599.

(9) المرجع نفسه،ص1600.

(10) المرجع نفسه،ص1600.

• تقول التوراة : ((وكان بنو نوح الذين خرجوا من السفينة (بعد الطوفان) ساماً وحاماً ويافث، و"حام" هو أبو كنعان، هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح، ومنهم انتشر الناس في الأرض كلها، وابتدأ "نوح" حارث الأرض يغرس الكرم، وشرب من الخمر فسكر وتكّشف في داخل خيمته ، فرأى حام أبو كنعان عورة ابيه فأخبر أخويه وهما في خارج الخيمة، فأخذ سام ويافث الرداء وجعلاه على كتفيهما ومشيا إلى الوراء فغطيا عورة أبيهما ووجههما إلى الجهة الأخرى فلم يريا عورة أبيهما فلما أفاق نوح من خمره علم ما صنع به ابنه الصغير فقال : ملعون كنعان، عبداً يكون لعبيد إخوته، وقال : مبارك الرب إله "سام" ، وليكن كنعان عبداً له، ليوسع الله ليافث، وليكن كنعان عبداً له .))

إن المتأمل في ما خلف هذه السطور سوف يكتشف بسهولة أن الهدف من إقحام هذا النص في أحد أسفار كتاب مقدس والادعاء أنه من الله ، هو هدف سياسي واضح ، أراد كاتبه أن يحسم موضوع الصراع بين اليهود والكنعانيين إلى الأبد بموجب نص ديني يتم تزويره باتقان ليبدو وكأنه منزل من رب العالمين، فأولاد نوح الثلاثة الذين ينحدر منهم كل البشر ـ حسب الرواية التوراتية التي تبناها ابن خلدون ـ هم على الترتيب كالآتي:

ينتشر بنو "يافث" في آسيا الصغرى وجزر البحر المتوسط (العنصر الأوربي) ، وينتشر بنو حام في بلاد الجنوب (مصر والحبشة وجزيرة العرب)، وتضم التوراة إليها كنعان، أما بنو سام فهم العبرانيون بطبيعة الحال وتمت إضافة الآشوريين إليهم وكذلك العيلاميون. أي أن الحكم المقدس باستعباد بني كنعان وتبعيتهم مدى الدهر لليهود هو حكم تم ترتيبه بموجب خرافة تسيء إلى الأنبياء لكنها تنصف اليهود . للمزيد :

الكتاب المقدس، العهدان القديم والجديد سفر التكوين، إصحاح 8، 20. 25.، منشورات جمعية الكتاب المقدس،القاهرة،2009 ،

(11) ابن خلدون، المقدمة، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، ط1،ج1، منشورات دار يعرب، دمشق،2004،ص85.

(12) عبد الرازق قراقب وعلي مطيمط، حضارات ما قبل التاريخ (تونس والبلدان المغاربية)، منشورات دار أليف،تونس،1991،ص31.

(13) المرجع نفسه،ص32.

(14) المرجع نفسه، ص33.

(15) مها عيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في تاريخ المغرب القديم، جامعة منتوري، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، قسنطينة، الجزائر، السنة الجامعية 2009-2010،ص45.

• الإنسان الواقف : هو المرتبة اللاحقة في تطور البشريات، عاش على امتداد مساحات أكثر اتساعاً من التي عاشها أسلافه وذلك بفعل قدرته على المشي والوقوف باستقامة على جذعه.

تم الكشف عن بقاياه في كل من آسيا وأفريقيا وأوربا، وكان أطول قامةً وأكبر مخاً وأكثر مهارةً في تصنيع أدواته مقارنةً بأسلافه، ويعتبر من بشريات دهر البليستوسين. للمزيد :

(16) ج.هاوكس ول وولي، ما قبل التاريخ وبدايات المدنية، ترجمة يسري الجواهري،، منشورات دار المعارف، القاهرة،1967، ص 342.

(17) كلود ابراهيمي، تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر، تعريب م.ب. شنيتي، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1984،ص23.

(18) تقي الدباغ، الوطن العربي في العصور الحجرية، منشورات دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،1988،ص95.

(19) مها عيساوي، مرجع سابق،ص49.

• جبل إغود : مغارة تقع في جنوب المغرب عُثر فيها على العديد من الأدوات المصنوعة من حجارة الصوان مع جمجمتين تنتميان إلى إنسان النياندرتال.

- تافورالت : مغارة تقع شمال مدينة "وجدة" المغربية.
- تايميه : مغارة في ضواحي مدينة "وهران" الجزائرية.
- غافاس : موقع في شرق المغرب.
- وادي العكاريت : موقع شمال مدينة قابس التونسية .
- القطار : موقع شرق مدينة قفصة التونسية.
- عين متهرشم : موقع شمالي القصرين في تونس.
- عين امغطة : موقع جنوب غرب مدينة القيروان التونسية.
- هوا افطيح : كهف واسع في المنطقة بين سوسة ورأس الهلال في الجبل الأخضر في شرق ليبيا .
- وادي غان : موقع في جبل نفوسة جنوب غرب ليبيا.
- الإنسان العاتري : هو صاحب الحضارة العاترية نسبةً إلى بئر العاتر الذي يقع في الجزائر في وادي جبانة بالقرب من قسنطينة متاخماً لحدودها مع تونس، وكان "فردريك مورو" أول من أشار إلى إمكانية وجود صناعة تختلف عن ما تم العثور عليه جنوب غرب قفصة الصناعة العاترية عام 1888م. إلا أن "ريجاس" كان هو الذي اكتشف موقع بئر العاتر عام 1919 م. وتمكن من العثور على نماذج من الصناعة العاترية فيه للمزيد:

M.Reggassc,Etudes de palcthnologie Maghrebine ,Nouvelle Seric ,
.L'Anthropologic,25,1919-1920

- أحياناً تُسمى "الحضارة القبصية" باستعمال حرف الباء بدلاً من الفاء ، ويرجع هذا إلى اعتماد البعض للاسم القديم للمدينة وهو "قبصة"، التي اكتشفت فيها أولى مواقع هذه الحضارة . للمزيد :

عبد الرازق قراقب وعلي مطيمط، مرجع سابق، ص37.

(20) . عبد الرازق قراقب وعلي مطيمط، مرجع سابق،ص ص 33-34.

(21) محمد الصغير غانم، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم،ط1، منشورات دار الهدى ،الجزائر ،2003، ص90.

(22) عبد الرازق قراقب وعلي مطيمط، مرجع سابق، ص ص 34-35.

- إنسان مشتى العربي : انتشرت آثاره على طول امتداد ساحل شمال افريقيا، وتميز بطول القامة التي جاوزت 172 سم، بجباه ضيقة ورؤوس مستطيلة وشفاهٍ طويلة، ويحتمل أنهم من أصحاب السلالات الأولى التي استوطنت

المغرب منذ سلالة إنسان المتوسط، وقد مارس انسان المشتى عادة خلع القواطع .وقد سماه البعض : أصيل شمال إفريقيا. للمزيد :

محمد الهادي جارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الاسلامي، منشورات المؤسسة الجزائرية للطباعة،الجزائر ،1992،ص32.

(23) مها عيساوي، مرجع سابق،ص56.

المغرة : مادة حمراء اللون كانوا يحصلون عليها من الطين الأحمر أو بقايا أكسيد الحديد، وكان صبغ العظام بالمغرة من الطقوس الشائعة عن سكان المغرب القديم التي مارسوها طيلة فترة الحضارتين القفصية والوهرانية اعتقاداً منهم ـ كما يشير كامبس ـ أن طلاء الجثة باللون الأحمر سوف يعيد إليها سريان الدم ويساعدها على العودة مجدداً إلى الحياة . للمزيد :

Camps (G.) ,Aux Origines de La Berberie, Monuments et Rites Funéraires

.Protohistoriques , Arts et Métiers Graphiques, Paris , 1961 .p522

(24) المرجع نفسه، ص57.

(25) ج.هاوكس ول وولي، ما قبل التاريخ وبدايات المدنية،ترجمة يسري الجواهري،،منشورات دار المعارف،القاهرة،1967، ص ص 10-11.

(26) عبد الرازق قراقب وعلي مطيمط، مرجع سابق 43.

(27) غابريل كامب، البربر ذاكرة وهوية، ترجمة عبد الرحيم حزل،منشورات دار افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2014، ص ص 82- 83.

(28) فوزي فهيم جادالله، مسائل في مصادر التاريخ الليبي قبل هيرودوتس، ليبيا في التاريخ، منشورات الجامعة الليبية، ،بنغازي،1968،ص ص 53- 54.

(29) مها عيساوي، مرجع سابق، ص ص 115. 116.

(30) المرجع نفسه،ص118.

(31) سعد الدين ابراهيم، المجتمع والدولة في الوطن،ط3،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،2005،ص37.

(32) دنكن ميتشل، معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان محمد، منشورات دار الطليعة ، بيروت،1981،ص ص 226-227،

• في عام 1856 م. تم الكشف عن جمجمة غريبة بالقرب من "دوسلدروف" الألمانية، وهو ما صار يُعرف لاحقاً بإنسان النياندرتال، ولأن هناك احتمالاً كان قد تم طرحه بخصوص إمكانية الكشف عن بقايا إنسان قردي في جزر

أندونيسيا، فقد قرر "ديوجين ديوبا" الذي ولد في هولندا عام 1858 ودرس الطب بجامعة أمستردام ، قرر أن يستقيل من منصبه كمحاضرٍ لعلم التشريح وأن يرحل إلى جنوب شرق آسيا بحثاً عن الحلقة المفقودة. للمزيد :

ج. هاوكس ول وولي، مرجع سابق، ص ص 348 ـ 349.

(33) علي الوردي، منطق ابن خلدون، ط2، منشورات دار كوفان، لندن، 1994،ص32

المراجع العربية :

(33) إبراهيم محمد الحمداني، المصطلح النقدي في كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني، منشورات دار الكتب العلمية،بيروت،1971،باب حرف الميم.

(34) ابن خلدون، العبر في ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الكتاب الثالث، أخبار البربر والأمة الثانية من المغرب، وذكر أوليتهم، منشورات بيت الأفكار الدولية.

(35) ابن خلدون، المقدمة، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، ط1،ج1، منشورات دار يعرب، دمشق،2004،ص85

(36) الكتاب المقدس، العهدان القديم والجديد سفر التكوين، إصحاح 8، 20. 25.، منشورات جمعية الكتاب المقدس،القاهرة،2009 ،

(37) تقي الدباغ، الوطن العربي في العصور الحجرية، منشورات دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،1988.

(38) ج.هاوكس ول وولي، ما قبل التاريخ وبدايات المدنية،ترجمة يسري الجواهري،،منشورات دار المعارف،القاهرة،1967.

(39) حسين مؤنس، تاريخ قريش، منشورات الدار السعودية للنشر والتوزيع،ط1،الرياض،1988.

(40) عبد الرازق قراقب وعلي مطيمط، حضارات ما قبل التاريخ (تونس والبلدان المغاربية)، منشورات دار أليف،تونس،1991.

(41) علي الوردي، منطق ابن خلدون، ط2، منشورات دار كوفان، لندن، 1994.

(42) غابريل كامب، البربر ذاكرة وهوية، ترجمة عبد الرحيم حزل، منشورات دار افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2014.

(43) سعد الدين ابراهيم، المجتمع والدولة في الوطن،ط3،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،2005.

(44) فوزي فهيم جادالله، مسائل في مصادر التاريخ الليبي قبل هيرودوتس، ليبيا في التاريخ، منشورات الجامعة الليبية، ،بنغازي،1968.

(45) كلود ابراهيمي، تمهيد حول ماقبل التاريخ في الجزائر، تعريب م.ب. شنيتي، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1984.

(46) محمد الصغير غانم، مواقع وحضارات ماقبل التاريخ في بلاد المغرب القديم،ط1، منشورات دار الهدى ،الجزائر ،2003.

(47) محمد الهادي جارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، منشورات المؤسسة الجزائرية للطباعة،الجزائر ،1992.

(48) مها عيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في تاريخ المغرب القديم، جامعة منتوري،كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، قسنطينة، الجزائر، السنة الجامعية 2009-2010.

المراجع الأجنبية :

(1) M.Reggassc,Etudes de palcthnologie Maghrebine ,Nouvelle Seric , L'Anthropologic,25,1919-1920.

(2) Camps (G.) ,Aux Origines de La Berberie, Monuments et Rites Funéraires Protohistoriques , Arts et Métiers Graphiques, Paris , 1961.

INSSCRIPTIONS OF ROMAN CYRENAICA

BY

J. Renolds

ترجمة :

د. سعد صالح الدلال

جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الاسلامية

ملخص البحث :

هذه ترجمة لمقالة الأستاذة جويس رينولدز، المحاضرة في الدراسات القديمة بجامعة كمبردج، التي ألقتها في الدورة السادسة من جلسات المؤتمر التاريخي (ليبيا في التاريخ) والذي نظمته كلية الآداب بالجامعة الليبية –بنغازي الإثنين 18 مارس 1968م، وعنوان المقالة **(نقوش برقة في العهد الروماني)** وتتحدث المقالة عن دور النقوش في دراسة التاريخ الليبي، وهي مصدر هام من المصادر المادية للتاريخ القديم. وتشير رينولدز، إلى مشاركة الأستاذ "جودنتشايلد" لها في بداية الدراسة، وإن كانت المنية لم تمهله لإكمال الدراسة. فأكملت وحدها هذه الدراسة، وتتناول الأستاذة رينولدز، الصعوبات التي واجهتها في دراسة النقوش، كفعل الزمن وتأثيره على الاحجار المستخدمة، وتهدم بعض أسوار المدن المنقوش عليها إضافة إلى بعض الخطوط غير الغائره والمرسومة خاصة في العهد البيزنطي، إضافةً إلى عدم الدقة في تحديد الأسماء، خاصةً في اختلاط نماذج العنصر الليبي مع العناصر الإغريقية والرومانية، وكذلك اشارت إلى عدم دقة الرجال الموظفين الرسميين القائمين على الكهانة في استخدام نقوش الكهنة.

كما تركز الأستاذة رينولدز في هذه الدراسة على مدن شحات وتوكرة وطلميثة لكثرة النقوش التي وجدت في ساحات الألعاب بها وكذلك المدرسة العسكرية (الافيبيا).

نقوش برقة في العصر الروماني :

نهاية هذه الورقة كانت أليمة، فقد مات في الثامن عشر من فبراير "البروفيسور ريتشارد جود تشايلد" الذي تعاونا معاً في هذه المهمة، لقد اتفقنا على إعداد هذا التقرير، وآمل ذلك، ويتطلب أن نكون قادرين على أن نتحدث عن ذلك أو قبله، لقد كان عملاً مشتركاً في كثير من النواحي، حيث أخذنا نتباحث، ولكن هناك بعض الأمور التي مازلنا ندرسها معاً، وأنا أملك إحساس إلى حد بعيد حول النقص الكبير من خلال تجربتي في برقة التي كتبت عنها.

مقالتي هذه سوف تكون مقسمة إلى **جزءين: الجزء الأول** ليس مقالة حول تاريخ ليبيا، ولكنه تقرير عن جزء من العمل الذي نأمل في النهاية تقديمه. **الجزء الثاني** سوف يتضمن موجز وعرض عام، ورقم صغير، وآخر الأمر انجاز وإبراز النقاط الرئيسية من ذلك العمل فيما يتعلق بوثائق ذلك العصر، وبعض السكان الذين تذكرونهم أنتم طبعاً لتقديم كل ما أطلعت عليه، وهو لازال باقياً فيما يتعلق بوثائق الأدب التي تقدم دليلاً على تاريخ برقة تحت الحكم الروماني. أحياناً تبادل الأفكار والتأثير الثقافي تمثل أدلة ونجد صعوبة في ترجمة هذه النُتف من المعلومات عن هذه الفترة من الزمن.

أهمية هذه النقوش في أنها تكسب المدينة أهمية كبيرة إضافة إلى الأثار الباقية طبعاً هي الأخرى تقدم لنا أدلة قد تكون ناقصة، في وقت نحن في أمس الحاجة لفهم ثقافة وتطور هذا الشعب، فقد كان هناك طلب لتسهيل مهمة المؤرخين في البحث منذ أثنى عشر عاماً مضت.

جودتشايلد هو من اقترح أنه يجب أن نتعاون لتجميع الإنتاج في طبقة للنقوش الرومانية في برقة. نحن فكرنا كذلك وبشكل صحيح في أن هذه النقوش وفي زمن قصير ستكتسب معاني كثيرة عندما يتم تجميع أعداد منها.

نحن نتمنى أن نكمل هذا المخطوط في عام 1969م، أنا لا أدري ما إذا كنت استطيع وحدي إنجاز ذلك، ولكن سأجرب مثلكم، سوف أفكر في هذا المجلد.

من المستحيل طبعاً إنجاز ذلك في وقت قصير، وهو عمل يضيف حقائق لذلك لا جودتشايلد ولا أنا بدأنا غير قادرين لإعطاء الاهتمام الكامل لهذا العمل الفترة غير كافية، ولكن سوف نواصل

البحث؛ يوجد الكثير من النقوش ذات الصلة بالموضوع أكثر واقعية، عندما بدأنا النقوش كانت تقريباً 1200 رقم من النقوش. وفقاً لحسابي، ولكن وضعنا على كل رقم من أرقام النقوش قطعة من الحجر وهي معقدة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالحجارة، وعدد من هذه النقوش تحتل عدة نصوص، مجموعة منها سيكون أكثر من 1500، كثير من هذه النقوش ذات أهمية أكبر من توقعنا، وهي في حالة تحتاج إلى ترقيم. يمكن عرض مفيد للحجر المحلي الذي يصمد بشدة في برقة في إعادة البناء.

سواء على التعويض عن الأضرار الناجمة عن البناء العادي الذي يعطي من الحجر الناعم لاستمرار الصيانة واصلاح الضرر الذي لحق بالتماثيل الدينية نتيجة الزلازل أو لإجراء عمل جديد من شأنه أن يعطي مجالاً للمدن مثل شارع ضخم بُني في شحات في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي.

في سياق هذه الأنشطة الأبنية ازيلت، قطعت بقسوة الزمن ثم أعيد استخدام أحجار الأثار في المباني.

المخاوف واحدة في صياغة النقوش الموجودة على الأحجار، أنأ أصدق ذلك في بعض الأحيان إعادة الاستعمال للمادة حفظت استعمال النقوش وجعلتنا نفقد عقولنا، ولكن أنا كذلك أشعر بالإثم حول شحات دائماً، أذكر ذلك الدمار. كثير من المعماريين كان لديهم إضافات على إصلاح الضرر، ولكن أنا هنا اؤكد على أن بنغازي ذو شأن هام، كانت في العالم القديم تستوعب انتاجنا في نهاية الفترة البيزنطية. وإن كانت خارج بحثنا، وعلى الرغم من ذلك فإننا أيضاً سوف نوثق بعض النقوش والتي عادة زخرفت وهشمت وبهتت بينما الجصى به رقاقة الورق المائي اصبح رماداً.

صناعتنا تقلصت عام 100 قبل الميلاد وهو بداية الشكل الأساسي للزخرفة، ولكن في الحقيقة لم نستطع إهمال الوثائق ذات الصلة بالموضوع، مثل وثائق البطالمة في القرن الثاني قبل الميلاد[1].

---

[1] ملحق نقوش برقة، المجلد التاسع، رقم 7.

توجد صعوبات ظهرت لنا منها فقدان تواريخ الوثائق في تلك المرحلة من تاريخ برقة. الكثير من تلك الحروف أشكالها غير محددة، نحن شعرنا بذلك، وبدأنا نشك في تلك الحروف، ولكن حصرها أفضل من إبعادها، الكثير من تلك النصوص بها جُمل تامة.

وقد نشرت في الماضي على نطاق واسع، عن طريق مجموعات كبيرة، منها ما نشر عن طريق الرحالة الفرنسي "باشو" في القرن التاسع عشر الميلادي[2] وكذلك عن طريق البروفسور أوليفيرو[3] الذي يعتبر أفضلنا معرفة في السابق.

العديد من النقوش الهامة والمكتشفة في شحات، والمنشورة سابقاً قمنا بإعادة قراءتها، وإحيائها لإبقائها على قيد الحياة، وأحياناً نفتقد القدرة على اقتراح تحسينات كبيرة في القراءة، ويرجع ذلك جزئياً لزيادة تقاليد الكتابة المتراكمة في هذه الأثناء، وجزئياً لأننا كنا قادرين على قضاء فترة انكباب طويلة على الحجارة.

ليس من الصعب جداً في مثل هذه الظروف إن مضينا قدماً على الأسس التي ارساها أسلاف الكتابة المائية. لقد كنا دائماً واضحين جداً، إن أولئك الذين يتبعوننا سوف يجدوا الكثير الكثير لتحسين ما قرأناه جنباً إلى جنب مع نصوص نشرت بالفعل.

هناك أعدادٌ كبيرة وجديدة من أغلب الاكتشافات الناجمة عن الحفريات التي أجرتها وزارة الأثار، وإدارة الأثار العامة، ومسئولها (جودتشايلد) وبعض الموظفين بالإدارة[4]، الذين اتخذوا قرارات حيال الحفريات، سوف لن تكون تكلفة الطباعة الإغريقية مرتفعة ومعظم النصوص أصلاً باللغة الإغريقية، ونحن لا نريد أن ننتج الملايين منها فقط، ولكن نريد أن نحافظ عليها بجهد متواضع من المؤرخين وعلماء الأثار.

---

[2] جورنال روما، باشو، علاقة الرحلة بمارماريكا (البطنان) باريس 1927، رقم 9.

[3] ج. أوليفيرو، وثائق قديمة لأفريقيا الإيطالية، (برقة) مجلد 1، 2، (برجامو) 1932، رقم 6.

[4] أنا هنا بشكل خاص أشعر بمساعدة السادة، السيد عبد الحميد عبد السيد، والسيد أبريك عطية، والسيد صالح ونيس من شحات، والسيد فضل عبد السلام من سوسة، والسيد عبد السلام بازامة من طلميثة.

وبالتالي شعرنا أنه من الضروري للتوضيح، والتعليق نسبياً ونحن كمتخصصين في دراسة النقوش يؤسفني فقدان العديد من النقاد للتحقق من النص المطبوع، أنا أميز المطابقة وقادر على نشر صور داخل نفس التغطية، وأنا أعلم جيداً أن أي معلومات إضافية لا يمكن الحصول عليها من صورة حجر عليها قطعة من النص، وقد تكون كبيرة، ومع ذلك فقد نتصور أن يكون هناك سلسلة من اللوحات توضح الخطوط الرئيسية والأشكال بالإضافة إلى ذلك فإن الرسم البياني من أشكال الحروف المستخلصة من الصور يعطي لكل نص إشارة إلى السلبيات؛ نتيجة الشعور المسيطر على إدارة الأثار الليبية، أو في المدرسة البريطانية في روما بحيث تمكن الدارس لأي نقش بكل تركيز، وخاصة في متن النصوص. ليس لدينا أي تزيين للنشر الذي يمكن أن يظهر سليم ومُرضى، بل هي صور غير ساكنة. نحن واضحين في هذا المجلد، ويبدو أننا لسنا وحدنا، وربما ليس كل المكتبات كان في استطاعتها أن تزود بالبيع أو بشرح أو تعليق. نحن نتحفظ بعدد محدود (والقليل أكثر غلاءً من تغليف المجلد الأول "نقوش روما في طرابلس"). إلى حدٍّ ما، ومن جديد نذكر جزء من النفقات بسبب عدم شعورنا بأننا قادرين على أن نقدم فائدة دقيقة، وتفسير لكل قطعة تشكل جزءاً من النصوص.

مثل هذه الصفوف المتعددة تجعل نصيباً مطمئن، وقد استطعنا في كل هذا الوقت من العالم أن نتحصل على ترتيب منظم، ومن ثم هناك سؤال حول هذا الترتيب. الخطوط العريضة من الطبيعي أن تكون كافية لتنظيم متن النصوص مكان بمكان بدءاً من "سيرتيكا" وعملاً بمثابرة نحو الشرق باستثناء أحجار الحد الفاصل من الأجور الروماني المحلين الذي نحن تحفظنا وميزناه بين فصول الكتاب حتى النهاية، ولكن في كل موقع العديد من التقاليد الكتابية وترتيب النصوص بالنقاط وليس بالنوع، والمجموعة لها نقاط بحيث تبدو غير مسجلة نحن نرجعها إلى الترتيب العادي بالنوع. نحن فعلنا ذلك لأنه يبدو لنا أن الترتيب التقليدي بالنوع قدم لمحة عن معلومات مستفاد منها لإلقاء نظرة على المؤشرات التقليدية، والتي نحن بالطبع نتوخى الحذر حتى ذلك الحين في المعلومات من درايتنا وكيف أننا وجدنا نفس النُصب التذكارية القرينة أو القريبة منها، وبشكل طارئ حول النص التذكاري، وبالنظر إلى سلامة

النقوش المعلومة والمفيدة، ليست من أجل المؤرخ ولا عالم الأثار في برقة، بأي طريقة هذه المعلومات بدت لنا فاتحة في غاية الأهمية، ونحن نثق في تنظيماتها، وإضافة بُعد في التفكير في المصدر الأصلي الممنوح مباشرة، المعنى والتاريخ لكل نقش من خلال إيجاد علاقة للمعنى وتاريخ كل النصب التذكارية من خلال تلك النقوش المكتشفة فيها، وكذلك تعني تاريخ سلامة الموقع. أول معضلة في استخدام النصوص تاريخ كل حدث، بعض الخطوط موجودة على مبنى مشيد في تاريخ (أي.جي) فيما يتعلق بالشكل الخارجي الجديد بالذكر مثل بومبي العظيم أو الإمبراطور. فيكون بعضها مُحبط ويحمل أحياناً تاريخ الموظفين الرسميين المدنيين في شحات وسوسة وطلميثة ومن المحتمل توكرة (بدون شك بنغازي) أيضاً، ولكن يعوزنا الدليل بواسطة كاهن الإله أبوللو على السنة في تلك المدينة. في شحات عدد من قوائم النقوش لهذه البقايا الدقيقة، وبعض الأسماء التي تظهر في أجزاء النقوش التي سجلت بالتاريخ، ومن المحتمل أن هناك تواريخ موجودة. والأسماء السابقة والتي تتبعها في تلك القوائم قام البروفيسور (بوكليس كارتيليا) بالعمل عليها[5] وأفكر في أنه بإمكاني أن نعيد الأشياء المقسمة للمدينة على الأقل في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي، وتاريخ أغلب الوثائق.

هناك بعض المؤشرات توضح أن المسئولين عن القوائم لم يكونوا دائماً حذرين في الاحتفاظ بها حتى الآن، لذلك الرجل الذي اسمه في الترتب الثاني في العاب العدو يسجل بإمكانه في بعض الأحرف وأنه يتبع السلف مباشرة. ليس في السنة القادمة، بل بعد توقف دام مدة طويلة.

القليل مثل القوائم الباقية في سوسة وربما طلميثة، ولكن في هذه المدن هناك أدلة فرعية غير كافية لتسمح لنا بتحديد معايير دقيقة، لمن لهم أسماء عرضية، إضافة إلى أن هناك العديد من النصوص تحتوي تاريخ.

يدل على علاقة لـ = ايتوس، مع أرقام في بعض الأحيان ولسنوات ملكية واضحة بها رقم محدد له علاقة بشكل خاص بالعصر الإمبراطوري، مثل ل. أي (أوتوخراتوروس دوميتيانوس كايساروس = العام

---

[5] ج. بوكليس- كار اتيليا، دليل المدرسة الأثرية بالجامعة، 39، 11، رقم س، 23، 24 (2-1961م).

8م من عهد الإمبراطور دميتيان بين عامي 88-89من الميلاد[6] وفي بعض الأحيان يكون العام مؤرخ (بـ اكتيان) وهي فترة مشرقة من إقليم برقة، والتي تعطينا دليلاً على أنظمة بديلة، أُستعملت (لـ سند توخاس أوتوخراتوروس، كيساروس واويجيو الكسندرو عام 254م وهي كذلك من العام الثالث من حكم الإمبراطور سفيروس الإسكندر بين عامي 223-224ميلادي) [7].

ولكن غالباً ما يكون التاريخ منقوشاً من غير تعريف، أو تاريخ بديل لتوضيحه، وقد كان هناك اتجاه قوي لدى الباحثين في السنوات الأخيرة لإحالة كل هذه التواريخ إلى فترة ما بعد معركة اكنيوم، وهذا بكل وضوح صحيح، عندما يكون الرقم عالي، ولكن عندما يكون الرقم منخفض كما هو الحال في معظم الحالات يتدخل الشك في صحة تحديد التاريخ لعدة أسباب.

الحماسة بالتاريخ في فترة ما بعد معركة اكتيوم يمكن أن يكون معقولة، ولكن الظروف الغير محددة للعام الأول يعد أمراً مدهشاً، وكذلك العديد من سكان الإقليم الذين تم منحهم حق التصويت اسماؤهم: (تي كلاوديوس) في الفترة التي تعد على هذا الأساس والسنوات المبكرة من حكم الإمبراطور اغسطس. وعلاوة على ذلك بعض من النصوص تبين أشكال حروف متطورة وليست من تلك الفترة، ومع ذلك الشيء اللافت للنظر، بعد التأمل هو التوزيع الغريب للترتيب الزمني الناتج عن هذا التاريخ، ففي مقبرة (توكرة) على سبيل المثال عدد كبير جداً من النصوص الجنائزية ترجع للعقد الأول من فترة ما بعد معركة (اكتيوم) وعدد قليل جداً من النصوص ترجع للعقود اللاحقة، على الرغم من أن هذه المقابر كانت بكل تأكيد تستخدم طوال القرن الأول الميلادي[8] على الأقل. ولما كانت أغلب هذه النقوش منحوتة في الصخر لا يمكن أن يتم تفسير هذه الفجوة في التاريخ بسبب فقدان عدد كبير من شواهد هذه القبور المنفصلة.

---

[6] ملحق النقوش الإغريقية، التاسع، 498.

[7] ملحق النقوش الإغريقية، التاسع، 128.

[8] أنظر، ج. د. ه. رايت، استكشاف فلسطين الفصلية، 1963، ص22 وما بعدها.

بعض البحوث التي تم انجازها مؤخراً تتجه نحو دحض نظرية كهذه التي تؤدي إلى نتيجة غير منطقية، ولكن ليس هناك أي شيء يبرهن على هذه الحقيقة بقدر ما تبينه إعادة قراءة منطقية لنص النقش الموجود في المحجر رقم 12 شرقي مدينة توكرة[9]، ويتكون هذا النقش من فقرتين في نفس الإطار حيث يتعذر تمييز أسلوب خط الفقرتين من بعضهم البعض، وقد تمت كتابة النقش بصيغة مميزة لا تتكرر في أي من النصوص بصيغة تم الكشف عنها في الإقليم حتى الآن.

كلاً من الفقرتين يبدأ بتاريخ فسّره مكتشف النص (ج. اليفيرو) على أنه العام 10 (L=10) ولكني أفسر تاريخ الفقرة الأولى على أنه العام 6 (LF=6) والفقرة الثانية على أنه العام 90 (lq) وقد قرأت النص مباشرة من الكتلة الحجرية التي تحتوي على النقش بدون صورته التي التقطها (اوليفيرو) ولكن تبدو لي أن الصورة تؤكد بكل وضوح هذا التفسير (يجب أن أوضح أنه ما لم تتم قراءة النقش في إنارة جيدة لن تكون هناك قراءة صحيحة له) من الواضح أن 90 هي العام 90 ما بعد معركة اكتيوم، وهي سنة 60/59 وهو كذلك العام 6 من حكم الإمبراطور (نيرون) وتنتمي الفقرتان لنفس العام، ولكن يتم وصف العام برمزين مختلفين.

هناك نقوش أخرى في توكرة وهي على صلة بالموضوع، وفي استنتاجاتنا، فإن كانت أقل وضوحاً نحن نقبل ذلك. أرقام السنوات والتي عادة سنوات ملكية، عندما لا يكون هناك مرجع دقيق حول فترة امبراطورية قلقة، هذا ويمكنني أن أخمن أنه يتضمن على نحو فجائي، هدف سريع الزوال حول هذه النقوش الغامضة التي لها صلة رئيسية بالدراسة، والتي تظهر للعيان.

أنا أخشى أن كثيراً من الوثائق قد أظهرت التاريخ الدقيق الذي لا تصمد دراسته نتائج هذه النقوش مقلقة وهذا يعني الآن انتشارها أكثر من أي وقت من الأوقات وهي مخالفة للواقع الاجتماعي والديمغرافي.

---

[9] ملحق النقوش الإغريقية، التاسع، 624.

ليس من المستحيل أن اقترح تقارب التواريخ بعضها ببعض، إذ تعطينا الأرقام تطابقاً عملياً ومحدداً لرقم العهد.

توجد كذلك وبالتأكيد أعداد كثيرة من النقوش الغير مؤرخة، أو من ناحية أخرى تاريخها طمس حيث إمكانية أن نقترح تاريخ في الأساس إشكالية، وفي بعض الأوقات إيجاد نقطة مميزة لمعرفة المعايير الشخصية، ونأمل أن لا أحد سوف يُظل تفكيرهم في أي شيء، ولكنها تخمينات.

وفي بعض الحالات القطع أحرقت وعجز تفكيرنا غير أن العديد من الزملاء المتحدثين، وأنا أيضاً نبحث عن آثار لعناصر السكان الليبيين وحضارتهم وما حول ذلك.

آمل في أن أقدم عرضاً عن بعض مشاهداتي، مثل مختلف من سبقوني في التشاور.وأود الإشارة هنا إلى مدن الإقليم في العهد الروماني (وبإمكاني أن أضيف القرى الساحلية إلى هذه القضية التي نحن نعرف الكثير عنها مثل "القبة")

حالياً بروز المظهر الإغريقي الروماني والذي يؤثر على فقداننا للمعلومات عن الليبيين.

المرء باستطاعته في البداية أيخمن في كثير من الأمور التي نتمتع بها حول الليبيين، وفي مقابر الأجداد وفخرهم بالازدهار. وكل هذه الأمور اشار إليها هيرودتس[10]، أظن أنه بقوة خفية حدث تطور كبير في المقابر في كل المدن وكذلك العبادة العظيمة للإله (اسكالابيوس) والمؤلهة (هيجيا) في (بلغرة) وشحات وفي سلنطة. باستطاعة المرء أن يرى وبحظ قليل بسبب قلة النقوش أثر للنحات الذي نحت بمعرفة شخصية بالنحت الإغريقي والروماني، ولكن خياله أنتج هذا كله. لا أفكار الإغريق ولا الرومان تتراى لنا صادقة من أجل الأفراد الليبيين[11] وما بين هذا وذاك تماثيل نصفية مدفونة في العهد الروماني في مقابر شحات وباقي الإقليم وبها إشارة إلى الليبيين أكثر من اشارتها إلى العائلات الإغريقية[12]، ولكن العلاقة المنتشرة تحديداً تشير إلى الليبيين، الذين وجدت اسماؤهم بارزة في عدد من النقوش جنباً

[10] هيرودوتس، الكتاب الرابع، 172، 187.

[11] حول مجزر الحساب، أنظر نشرة معرض جامعة بنسلفانيا 1960م.

[12] أنظر اليزابيت روسينباوم، صور من فن النحت في قورينائية (برقة) 1960م، ص13 وما بعدها.

إلى جنب مع الأسماء الإغريقية، قد أحضرت عن طريق المستوطنين الإغريق، وكذلك الأسماء المتداولة في الإقليم خلال سيطرة المقدونيين (أي حكم البطالمة "بطلميوس وكليوباترا" كانت اسماء شعبية متداولة بينهم).

ويظهر كذلك للعيان العديد منها أكثر طبيعية يرتبط بالليبيين. الأعداد في شحات وسوسة على نحو مقارن صغير. دائماً أنه ما بين الموظفين الرسميين، في شحات يدعون (أريماز) بارزين[13] في طلميثة وتوكرة اسماؤهم في النقوش أكثر من المألوف. الأكثر مُتعة توجد وثائق من المعلومات عن الأسماء في المدينتين، مجموعة كبيرة من النقوش في توكرة، وهي مرتبطة خاصةً بسور المدينة ومع كتل مهلهلة متناثرة على الموقع، ويفترض أن تأتي في معظم الحالات من سور المدينة[14]. تم العثور في طلميثة على أعداد قليلة من النقوش في الجدار (وهناك عدد قليل على البوابة الغربية) وقد جرى تفكيك دفاعات المدينة عن طريق سينسيوس (اسقف طلميثة) الذي رأى أنه حدث بسبب غارات البدو[15].

ومن حينها كانت النصوص تتعلق بأسوار المدينة، وفي كلتا الحالتين غالباً ما كان من المعتقد أنها قطعت بواسطة جنود عاطلين عن العمل، وإذا كان الأمر كذلك فإنه لم يكن في استطاعتهم استخدامه بأمان مثل المرشد العرقي لتنضيد الحروف في المدن. وفي الواقع أنه من آخر الحفريات التي باشرت عملها في ليبيا، جوتشايلد اكتشف علاقة أو دليل أثبت بشكل نهائي بانه ذات علاقة بالموضوع، وأماط اللثام عن سور مدينة توكرة، والذي استخدم في القرن الأول الميلادي، وربما قبل ذلك وربما في وقت لاحق.

كذلك السور الخلفي من ساحة الألعاب الرياضية لتدريب طلاب العسكرية (افيبي).

لذا فإنه بإمكاني الآن أن نأخذ تلك النقوش المحفورة، مثل تلك المجموعة من أشكال النصوص التي ترتبط بها[16].

---

(13) ملحق النقوش الإغريقية، التاسع، 1، 77.

(14) سي. ف، أوليفيرو، نفسه، المجلد الثاني، 2، ص168.

(15) س. ف.، س. ه. كرايلنج، مدينة طلميثة، إحدى المدن الخمس (شيكاغو، 1962م) ص208 وما بعدها.

(16) من ملحق النقوش الإغريقية، التاسع، 500 على سبيل المثال.

مدرسة التدريب العسكرية (الافيبيا) توقفت عن تدريس طلاب المدن خلال تلك السنة أو السنوات على تدريب رياضي ساحة الألعاب الرياضية (الجمنازيوم) ما هو مؤكد في نصوص توكرة تلك المجموعة التي تدعو للضحك في طلميثة (لأنها تشتمل على تزيين الكثير من الكتابات الناقصة).

في الواقع اعتقد أن امتداد واحد من جدار ساحة الألعاب الرياضية في طلميثة بقي حياً، وقريبا، ولكن على سور المدينة، ويحذوني الأمل في أنه يوماً ما ستكون هناك حفريات لإثبات هذه المسألة.

تحديد النصوص مثل (الافيبيا –التعليم العسكري) تكشف رقم ممتع ومحدد.

أقول لكم لا علاقة له بالموضوع، وبطريقة ما كما أنه يمكن للمرء أن يرى شيئاً من كلا من المنظمات الغير رسمية والرسمية من التعليم العسكري في المدينتين.

حيرة الكتاب السابقين حولها كان في الأسماء مثل (ايثوس، ايثي، ايثيا). اوليفيرو اقترح أنه ربما هذا يعني إقرار من الرجل الثاني للأول[17] ولكن مؤسسة التعليم العسكري في سياق حديثنا تظهر لنا أن منهج اللغة مفرد حقاً أي أظهرت أن الشخص الأول كان يدعى (رفيق وهو مألوف عكس الثاني) لأجل ذلك لا يوجد شك حول الكتابة لُزيها للشباب بشكل واضح، وتلك الأسماء قد كتبت بشكل مستعجل في مجموعة كتب الأصدقاء والتي هي ذات الصلة بذلك التنظيم.

النقطة التي بدأت بها على أية حال هي التسميات القديمة للرومان، وهذا يبدو واضحاً، ومناسباً للأسماء الكلاسيكية القديمة القريبة مثل (انسيان وروكجان، اثانيراس) وغيرهم، والتي اقتنعت بأنها ليبية ومن جهة أخرى إنني اقترحت في الماضي للبعض منهم مثلاً (بيثيز) والذي لازال مرتبطاً (بيثينيا أو ثراكا)، في وقت عندما كانوا يعملون كجنود.

وهذا ربما كان طبيعياً، ولكن هذا جاء بشكل سريع من خلال دليل الأسماء في البردي المصري الذي يرينا الكثير إن لم يكن كل منهم كان متوازي في مصر، ومن ثم أوضح لنا بدون شك الافريقيين بعدهم في بردي اكسيرنخوس.

---

[17] س. ف. اوليفيرو، نفسه، الثاني، 2، ص170.

البروفيسور مصطفى كمال عبد العليم أخبرنا عن المستوطنين في برقة وعلاقتهم بالليبيين بدون شك، المعنى أن توكرة وطلميثة في الوسط كان بها عناصر ليبية من السكان، وكذلك شحات وسوسة وبنغازي وإن كانت الأعداد أقل.

دليلنا يرينا التأثير الهللينستي، ذلك التأثير يجعلنا نعتقد بالاستحالة في الحاضر في أن نميز ذلك إلا من خلال أسماء العناصر الهللينستية التي اندمجت.

في هذا العالم من الإغريق والليبيين والهلليينستيين جاءت سلطة الرومان، ومجموعة صغيرة من الإيطاليين المهاجرين، والذين لا يملكون حتى الآن أي اهتمام من الكتاب في الإقليم، والتي أرغب في رسم صورة عنهم في الخاتمة.

الوثائق تشهد على وجودهم بكثرة، وبشيء ممتع في أول المكان يوجد نص من عام 67 من قبل الميلاد في قوريني، والذي أعلنته على التو[18] من مجموعة رجال الأعمال المقيمين مع جلالة موفد البابا (بومبي ماركلينوس) ويوجد فصل أدبي أشرت إليه حول رفاق الشعب الروماني الذين روضوا كطبقة اجتماعية ورثت الشعب الروماني من آخر ملك في قوريني بفضل وصيته[19].

ولكن هذه الكتابة دليل يقدم لنا الكثير من النقوش اللاتينية والإغريقية، والتي (تقدم لنا بواسطة تلك الأشكال من الحروف) وهي شعبية وأكثر في مجموعة من عهد أغسطس والتي كانت موضوعاتها تخص المواطنين الرومان بأسماء مثل (ستلاكيوس، أوربيوس، أروكيوس) والتي ميزنا هنا قلة الكثافة باستثناء ما هو كامبانيا أو ديلوس.

تجارتنا في أواسط بحر إيجة والتي سنتعرف عليها، أعداد كبيرة من رجال الأعمال من إيطاليا يؤسسون لأنفسهم خلال أواخر العصر الجمهوري مكانة في إقليم برقة، ونحكم على ذلك بواسطة القبور

---

[18] ج. م. رينولرز، مجلة الدراسات الرومانية، 111 (1962)، 97 وما بعدها.

[19] بليني، التاريخ الطبيعي، 19، 3، 38.

التي توضح دخلهم ولعبوا دوراً هاماً في علاقة برقة بالعالم الروماني، ليس دائماً أنا أخاف من الله حول الأمر المسلم به العمل الظالم الذي قدمَّه أغسطس لإصلاح نظام هيئة المحلفين في الولايات[20].

أحدهم ربما يكون (تراسيبل) المؤسس للأسرة (الانتيونيوس فلاما) في عهد الإمبراطور كلاوديوس وعهد الإمبراطور نيرون، يبدو أنه أول رجل في قورينائية (برقة) الذي سيصبح (سيناتور روماني) [21]. ولكن إذا (فلاما) يكون ابناً لهذه الأسرة، فإنه جسد خصائص كل مظهر من هذه المجموعة، وحدث التزاوج مع الإغريق سريعاً وحدث الاختلاط[22]. الكثير من الأسماء الرومانية تشبه تلك الأسماء من المجموعة التي وجدت عند نقل الحروف الإغريقية في النقوش الخاصة بالدفن.

في أواخر القرن الأول والثاني الميلادي، وبينا المواصفات تعني في الأصل الأسر الإيطالية المهاجرة والتي لم يكن في استطاعتنا بواسطتها إخبار ذلك الشعب عن أعضاء الإغريق المحليين أو الأسرة الهللينستية التي يزداد عدد من تحصلوا على المواطنة الرومانية. وفي بعض الحالات جاءت عن طريق الطبقة الاجتماعية، التي تولت وظائف خدمة للمجتمع الروماني.

المرء بإمكانه فقط أن يقول أنه يجب على الجميع أن يساهم في هذا الجهد المشترك بنصيب ليس بإمكاننا تحديد ضريبته، لخلق أثر جوهري في برقة الإغريقية والرومانية والتي توضح لنا الأثار والنقوش بالدرجة الأولى العهد الذي أنا معنى به.

---

[20] ملحق النقوش الإغريقية، التاسع، 8، 1، 11، 3 وما بعدها.

[21] ج. م. رينولدز، مجلة الدراسات الرومانية، Xlix (1959)، ص97، أثناء ما اقترحته بأنه من أصل برقاوي مُنح المواطنة الرومانية بواسطة م. انتونيوس، عضو الحكومة الثلاثية، ذلك أن أسرته كانت من الايطاليين المهاجرين، مرة خطر ببالي بعد عهد قريب، ودعم بإقتراح من السيدة شيلاق جمسون من اكسفورد.

[22] إنه من المحتمل أن زوجته (تيمارتيا) إبنة كارنيدس، أشير إليها من ملحق النقوش في برقة، رقم 30 (يوكلايز-كاراتيليا) نفسه، ص240، ص359 للأسرة الثالثة التي توضح واحد من ابنائه بأسرة إغريقية صرفة.

INSCRIPTIONS OF ROMAN CYRENAICA

BY

JOYCE REYNOLDS

The final preparation of this paper has been sadly shadowed by the death on February 18th of Professor Richard Goodchild, who has been jointly involved with me in the undertaking with which it is concerned. We had agreed that I should make this report; and I had expected that we should be able to talk about it before it was presented. It incorporates much that we had discussed, but some things which we had not yet considered together and I have felt very much the loss of his unrivalled knowledge of Cyrenaica as I wrote about them.

My paper will be divided into two parts. The first part is not a contribution to Libyan history but an account of a piece of work which will, I hope, eventually be done. The second will contain a brief discussion of a small number of initial points arising from that work concerning the dating of the documents with which it deals and some of the people whom they mention.

I. You are of course all well aware that the surviving literary sources provide a fitful guide to the history of Cyrenaica under Roman rule — only occasionally communicative and even then not always as informative as one might hope, owing to the difficulty on interpreting snippets of information, widely spaced in time. In consequence the inscriptions of the country acquire an even greater importance than they would have in any case, and it is they — together with the monuments, of course — that bring us as close as we can hope to be to understanding its people and their development. It was in order to ease the task of historians in using them that, some twelve years ago now, Goodchild proposed that he and I should collaborate to produce a collected edition of the Inscriptions of Roman Cyrenaica; we thought also — rightly, I feel sure — that a number of the inscriptions, in themselves of little moment, would acquire more meaning as part of a collection of the sort. We had hoped to have a completed manuscript ready in 1969. I do not know whether I can, alone, do this; but I shall try, for, as you will have been thinking, this volume has been an unconscionable time preparing. There are valid reasons for this in addition to the fact that neither Goodchild nor I have ever been able to give our undivided attention to it for any sufficient continuous period; for

there are far more relevant inscriptions than we realised when we started (there will be approximately 1200 numbers, I calculate, but as we have put under one number all inscriptions on any one piece of stone or closely related complex of stones, and a number of these carry several texts, the total of texts will be morelike 1500); many more of the texts are of greater interest than we foresaw; and a very considerable majority are in a condition that calls for much editorial work before they can be usefully presented. For the poor condition of many, there are two major explanations; first the softness of the local stone which weathers badly, and second the energy of the ancient Cyrenaicans in building and rebuilding, whether to make up for the ravages of normal wear and tear which, given the softness of the stone, created a constant need for maintenance, or to repair the damage of iconoclasm and earthquake, or to undertake new work that would give their cities the latest thing in civic amenity like the monumental street built at Cyrene in the second half of the second half of the second century A.D. In the course of these building activities, they ruthlessly cut up and re-used reject or damaged stones, so that bits of them may be found in several different buildings and some sections of them have not been recovered, too often, one fears, because they went into the lime-kiln. As a historian I find all this vigorous re-use of material rather cheering; as an epigraphist I have a more ambivalent attitude. I believe that sometimes the re-use of material has preserved inscriptions that would otherwise have been lost, but I am also very conscious that it has led to much destruction — and the row of Byzantine lime-kilns on the Sanctuary Terrace at Cyrene is a perpetual reminder of that destruction. Time and more modern builders have added their quota to the damage, but I doubt whether, except at Benghasi, it is a very significant one. It was the ancient world that here swallowed up many of its own products; and in the final, Byzantine, phase, which ought then, on the face of it, to be rather well-documented, there is some evidence that inscriptions were more often painted than cut — and paint fades, while the plaster on which it is laid flakes away to dust.

In making our collection we have taken 100 B.C. as the formal starting-point, but obviously could not omit so relevant a document as the will of Ptolemy from the second century B.C.[1] There has also been some difficulty arising from the absence of dates in documents of this stage in the history of Cyrenaica — for most of them the only criterion for dating is the uncertain one of letter-forms; we have felt that when in doubt about these it is better to include than to exclude.

Very many of the texts for all periods have, of course, been published in the past — the two largest such groups being that published by the Nineteeth Century French traveller Pacho[2] and that of Professor Oliverio[3] who is surely our best-known predecessor,

1. *SEG* IX. 7.
2. J.R. Pacho, *Relation d'un Voyage dans la Marmarique* (Paris, 1827-9).
3. G. Oliverio, *Documenti antichi dell'Africa Italiana, Cirenaica*, vols. I, II (Bergamo, 1932-6).

responsible for so many and such important epigraphic discoveries at Cyrene. Where previously published texts survive we have re-read them and have sometimes, we think, been able to propose significant improvements in the readings, partly because of increased epigraphic lore accumulated in the meantime and partly because we have been able to spend longer poring over the stones in different lights than our predecessors could. It is not so very hard in such circumstances to advance on the bases that one's predecessors have laid; we have always been very clear that those who follow us will find much to improve in what we have read. Alongside the texts already published there is a large number of new ones, the majority being discoveries resulting from excavations undertaken by the Department of Antiquities of Libya under Goodchild's direction, and some of surface survey by members of the Department.[1]

In editing, we have taken some decisions which we know will not be liked. The cost of printing Greek is very high and most of the texts are in Greek. We have not wanted to produce for millionaires only, but for the modest purses of historians and archaeologists, and we have therefore felt it necessary to limit illustration firmly and commentary comparatively so. As an epigraphist, I regret this as much as the reviewers will castigate it; like them, I recognise the convenience of being able to check a printed text against a photograph published within the same covers, and I know very well that the additional information to be obtained from a picture of the stone on which a text is cut may be considerable. However, we have envisaged that there will be a series of plates to illustrate the main lines of development of letter-forms and in addition a chart of dated letter-forms drawn from photographs; we give for each text a reference to negatives in the possession of the Department of Antiquities of Libya or of the British School at Rome so that anyone who wishes may write for a print of any inscription which he wants to study more intensively, and in the bibliographies for each published text we note any published illustration that there may be. It is not wholly satisfactory, but still less, we decided, is a volume that almost no individual and perhaps not all libraries could afford to buy. As for commentary we have kept this fairly limited (though a little more expensive than in the companion volume I(nscriptions of) R(oman) T(ripolitania) partly again to save costs, and partly because neither of us felt capable of producing a definitive commentary on each of a set of texts of such varied range of interest, even if we had all the time in the world at our disposal.

Then there is the question of arrangement. The broad linse are natural enough — we have arranged the texts site by site starting in the Sirtica and working steadily eastwards, except for the milestones and the Boundary Stones from the *Ager Publicus Populi*

1. Here I am especially conscious of the help of Mr Abdulhamid Abussaid, Mr Breyek Atiyah and Mr Saleh Wanis at Cyrene, to Mr Fadullah Abdussalem at Apollonia and Mr Abdussalem Bazama at Ptolemais.

Romani, which we have reserved for separate chapters at the end. But within each site we have broken with epigraphic tradition and arranged the texts by findspot and not by type. Only for the groups whose findspots seem to be unrecorded have we reverted to the normal arrangement by type. We did this because it seemed to us that what the traditionnal arrangement by type presented to a glance was information that is also available to a glance at the traditional indices, which we shall, of course, provide; while the information about each inscription to be derived from knowing what others were found in the same monumental context or near it, and, incidentally, about each monument from seeing its whole known epigraphic yield, is not. For the historian and archaeologist, in Cyrenaica anyway, *this* information has seemed to us of prime importance and we believe that to them our arrangement adds a dimension to the collection considered as a source-book, yielding immediately clues to the meaning and history of each inscription through that of its findspot and clues to the meaning and history of each monument through that of the inscriptions found in it and so to the meaning and history of the whole site.

II. The initial problem for the user of the texts is the date in each case. Some, fortunately, carry a built-in date, e.g. by reference to a notable figure like Pompey the Great or an Emperor; some, frustratingly, carry what was once a precise date but is now no longer so. Thus the official civic dating at Cyrene, Apollonia, Ptolemais and probably Teucheira (no doubt Berenice too, but we lack the evidence) was by the eponymus priest of Apollo for the year in each city. At Cyrene many fragments of inscribed lists of these priests survive and since some of the names are dated or appear in other inscriptions which are dated, it is possible to assign exact dates also to the names that precede and follow them in the lists. Professor Pugliese-Carratelli has already done some work on these[1] and I think that more will be possible, so that we may be able to reconstruct significant parts of the city's Fasti for sections at least of the second half of the first century A.D. and date more documents as a result — though I should also issue a warning that, surprising as it may seem, there is some indication that the officials responsible for the inscribed lists were not always very careful in keeping them up to date so that the man whose name is next on a running record may in some cases have followed his predecessor thereon not in the next year but after a gap of unascertainable length. A few such lists survive also at Apollonia and perhaps at Ptolemais, but from these cities there is as yet insufficient subsidiary evidence to allow us to assign precise dates to more than an occasional name. In addition, there are many texts containing a date indicated by the sign L = ἔτους with a figure. Sometimes this is clearly a regnal year for the figure is defined by reference to a particular emperor, so L η′ Αὐτοκράτορος Δομιτιανοῦ Καίσαρος = year 8 of the

1. G. Pugliese-Carratelli in *Annuario della Schola Archeologia di Atene* xxxix-xl n.s. xxiii-xxiv (1961-2), p. 359 f.

emperor Domitian, i.e. A.D. 88/89;[1] and sometimes it is the year of the Actian era, which was clearly the provincial era of Cyrenaica, so, to give an instance in which alternative systems are used, L σνδ' τοῦκαὶ γ' Αὐτοκράτοροσ Καίσαρος Μ. Αὐρηλίου Σεβήρου Ἀλεξάνδρου year 254, which is also year 3 of the reign of Severus Alexander, i.e. A.D. 223/4.[2] But often the number stands without definition or alternative to explain it; and there has been a strong tendency in recent years to refer all such dates to the Actian era. When the figure is high, this is obviously right; but where it is low, as it is in the great majority of cases, doubt should have intervened for many reasons. It might be understandable that there was a special enthusiasm for dating by the Actian era in the years immediately after the battle, but the not infrequent appearance of the year *one* is startling, as is that of a number of enfranchised provincials named Ti. Claudius in what would, on this basis, be the early years of the reign of Augustus; moreover some of the texts show surprisingly mature letter-forms for such a date. Still more striking on reflexion is the odd chronological distribution of texts that would result; in the Tocra cemeteries, for instance, one would be faced with an overwhelmingly large number of number of funerary texts from the decade after Actium and very little thereafter, though these cemeteries were certainly in use throughout the first century A.D. at least[3] and their inscriptions were almost all rock-cut so that the gap cannot be explained away as due to the loss of large numbers of loose stelae. Some work has been done recently by others towards disproving a theory that gives so irrational a result — but I do not think that anything can demonstrate the truth so well as a re-read text from the cemetery in Quarry no. XII to the east of the city of Tocra.[4] This inscription consists of two entries cut within the same panel in hands which are stylistically indistinguishable and each containing the same distinctive formula which does not occur in texts from other tombs so far discovered in the province. Both entries begin with a date which, in each case, Oliverio who first published them, read as L ' = year 10; I read the first as L F ' = year 6 and the second as I q = year 90 — my reading was made from the stone without reference to Oliverio's, but his photograph seems to me to confirm it quite clearly (I should make it clear that unless one sees it in a good cross light one cannot see the correct reading). 90 is clearly an Actian year = A.D. 59/60, and this is also the year 6 of the reign of Nero. The two entries belong, as they look to do, to the same year but it is described by different notations. There are other inscriptions at Tocra which point to the same conclusion, if less lucidly; and we must accept that the numbered year was often a regnal year even when there is no specific reference to the emperor concerned. This may, I think, imply an unexpectedly ephemeral intention for the inscriptions concerned. But the major point

1. *SEG* IX. 498
2. *SEG* IX. 128.
3. See G.D.H. Wright, *Palestine Exploration Quarterly*, 1963, p. 22 f.
4. *SEG* IX. 624.

that emerges is, I am afraid, that many documents which seemed to be securely dated can no longer be considered so. The gain is that the inscriptions concerned may now be spread over a reasonable period of time and no longer present a social and demographic anomaly; and it is not impossible to suggest approximate dates for some of them since the figures they give can only apply to a limited number of reigns.

There are also of course a large number of inscriptions which were never dated in any way or from which the date is lost. Where it has seemed possible to us we have suggested a date on the basis of the letter-forms, and sometimes findspots — knowing, however, that the criteria are subjective and hoping that no-one will be misled into thinking them anything but guesses. In some cases the cutting is so gauche that it has not seemed possible even to guess.

There is so much of interest in these texts that I have been at a loss to decide what, after this, I should bring to your attention. But like many of my fellow-speakers I too have been looking for traces of the Libyan element in the population and the civilisation and it is about these that I would offer a few observations.

As several of my predecessors at this Conference have indicated, the cities of the province in the Roman period (and I might add the coastal villages for that matter, where we know much about them as e.g. at El-Gubba) present a Greco-Roman appearance which leaves one at first rather at a loss for information about the Libyans. One can begin with guesses. Thus one might guess that such things as the known interest of the Libyans in the tombs of their ancestors and their pride in health, both of which are mentioned by Herodotus[1], may have influenced the growth of the magnificent cemeteries on all the sites and the important cult of Asclepius and Hygiaea at Balagrae and at Cyrene. At Slonta one can see an unfortunately unepigraphic monument whose sculptor had some acquaintance with Greco-Roman sculpture but whose imagination was teeming with wholly unGreek and unRoman ideas, it would seem — and presumably, therefore, Libyan ones.[2] Among the funerary busts of the Roman period tombs of Cyrene and its territory there are some which may perhaps be referred to Libyan rather than Greek families.[3] But the only widespread evidence that certainly refers to the Libyans is to be found in the names which occur in many of the inscriptions. Alongside the Greek names brought by the Greek colonists or those which naturally came into circulation in the territory during the period of domination by the Macedonian dynasty of Ptolemies (Ptolemaius and Kleopatra are particularly popular among these) there also appear some which it is most natural to connect with the Libyans. The numbers of these at Cyrene and Apollonia are comparatively small but

1. Herodotus IV. 172, 187.
2. For a brief account see *Bulletin of the Museum of the University of Pennyslvania*, 1960.
3. See Elisabeth Rosenbaum, *Cyrenaican Portrait Sculpture* (London, 1960), p. 13 f.

not to be forgotten — thus even among the officials of Cyrene the name Arimmas occurs.[1] At Ptolemais and at Teuchira, however, names of the type are more frequent. The most interesting sources of information on names in these two cities are in the great collections of graffiti. At Tocra, these are associated particularly with the city-wall and with loose blocks found scattered over the site and presumed to come in most cases from the city-wall;[2] at Ptolemais they are found in smaller numbers in the wall (there are a few in the West Gate) and in large numbers on loose blocks scattered over the site which are often presumed to come from the wall (despite the fact that this would commit us to believing that the defences of the city were being dismantled at a time when we know from Synesius that it was subject to nomad raids).[3] Since the texts have some connexion with the city-walls in both cases, it has often been thought that they were cut by idling soldiers, and if that were so they could not be used safely as a guide to the ethnic composition of the cities. In fact, in one of the last excavations that he directed in Libya, Goodchild found evidence which seems to prove conclusively that the relevant stretch of the city-wall at Tocra was used in the first century A.D. certainly, and probably earlier and possibly later, as the backwall of the courtyard of the Gymnasium in which the city's ephebes received their training; so that we may now take it that these graffiti, like a group of more formal texts associated with them,[4] are ephebic, cut by the yound sons of citizens during their year or years of gymnastic training. What is certain of the Tocra texts of this kind is virtually so of the very similar group of Tolmettan ones (which also include a set of more formal texts along with the rough graffiti) — in fact I believe that one stretch of the Tolmetta gymnasium wall survives near but not on the city wall, and I hope that one day there may be excavation to prove the matter.

The identification of the texts as ephebic opens up a number of interesting points. I cannot resist telling you, irrelevantly and by the way, that I think that it enables one to see something both of the informal and of the formal organisation of the ephebes in the two cities; and that it also suggests an explanation for a formula that appears frequently on these texts and puzzled earlier writers on them, the formula in which a name in the dative case by the word ἔθος, ἔθη or ἔθει. Oliverio suggested that perhaps this meant adoption by the second man of the first,[5] but the ephebic context, of which he could not know, and the number of such texts, which again he could not estimate, are two strong arguments against this; and I feel some confidence in proposing that it is a method, linguistically odd indeed, of indicating that the first person named was the customary companion of the second; for there is no doubt that the graffiti show the

1. E.g. *SEG* IX. 1 [77].
2. Cf. Oliverio, *loc. cit.* II. 2, p. 168 f.
3. Cf. C.H. Kraeling, *Ptolemais, City of the Libyan Pentapolis* (Chicago, 1962), p. 208 f.
4. Of which *SEG* IX. 500 is an example.
5. Cf. Oliverio, *loc. cit.* II. 2, p. 170.

young men as particularly prone to scribble their names in groups of companions, which must have some reference to their organisation. The point from which I began however was their nomenclature — and this shows a marked proportion of names which seem to a classicist very strange indeed — Anyssan, Rokgan, Itthannyras and many more — and which I am convinced must be Libyan. Other origins have been suggested in the past for some of them (thus Bithys, which has been connected with Bithynia or Thrace) and in the time when they were thought of as the work of soldiers this was perhaps natural; but a very rapid glance through the indices of names in Egyptian Papyri shows that many if not all of these can be parallelled in Egypt and so shown to be distinctly African after all. Since a number of them are found at Oxyrhynchus where Professor Abd al Alim has told us that there was a settlement of Cyrenaicans, the Libyan connection is beyond doubt. That means that in Teucheira and Ptolemais certainly there was a strong Libyan element in the population, in Cyrene, Apollonia and Berenice some, though probably a much smaller one; but even at its strongest it was, as our evidence shows, very effectively Hellenised — so effectively that it is I think impossible at present to distinguish it except by these names from the Hellenic element into which it had been absorbed.

Into this world of Greeks and Hellenised Libyans came the Roman influence and it is to a small group of Italian immigrants who have not hitherto had much attention from writers on the province that I want to draw attention in conclusion. The documents attesting their presence are few but interesting. In the first place there is a text of c. 67 B.C. from Cyrene, which I have already published,[1] in which a group of Roman business-men resident there honoured Pompey's legate Marcellinus; and there are of course literary references to the Roman public companies there who managed the estates which the Roman poeple inherited from the last king of Cyrene under his will.[2] But the epigraphic evidence also offers us a few Latin and more Greek inscriptions which (judged by their letter-forms) are of late Republican or in some cases Augustan date and whose subjects are Roman citizens with nomina like Stlaccius, Orbius, Erucius, which are otherwise comparatively rare except in Campania and/or in Delos and those other trading centres of the Aegean in which it is well-known that a considerable number of businessmen from Italy established themselves during the late Republic. Clearly Cyrenaica attracted a quota of these; judged by their tombs they were on the whole men of modest incomes but they must have played a part of some importance in the integration of Cyrenaica into the Roman world — not always I am afraid for good, for it was presumably their oppressions which led Augustus to overhaul the jury-system of the provinces.[3] One

1. J.M. Reynolds, *JRS* lii (1962), 97 f.
2. Pliny *NH* XIX. 3. 38.
3. *SEG* IX. 8. 1, 11. 3 f.

of them may perhaps be traceable as founder of the family of that L. Antonius Flamma who in the time of Claudius and Nero seems to have been the first man from Cyrenaica to become a Roman senator.[1] But if Flamma was the son of such a family he also typified another aspect of this group — they swiftly intermarried with the native families and became as Greek as everyone else around them.[2] Many more Roman names like those of this group are found in Greek translitterations in very many funerary inscriptions of the First, Second and later centuries A.D. and while their subjects may sometimes be originally of immigrant Italian families one cannot by then tell these people from members of the native Greek and Hellenised Libyan families who in increasing numbers received Roman citizenship and in some cases went on to hold rank and office in the Roman public service. One can only say that they must have contributed a quota which we cannot assess to the creation of the essentially Greco-Roman Cyrenaica which is what the monuments and the inscriptions mainly show us in the period with which I am concerned.

1. J.M. Reynolds, *JRS* xlix (1959), p. 97 where I suggested that he was a descendant of a Cyrenaean given Roman citizenship by M. Antonius the triumvir; the alternative that his family was an immigrant Italian one had occurred to me subsequently and was recently reinforced by a suggestion from Miss Shelagh Jameson of Oxford.
2. It is very probable that his wife is the Teimareta daughter of Carnedas mentioned in *Supplemento Epigrafico Cirenaico* no. 30 (Pugliese-Carratelli *loc. cit.*, p. 240 and cf. p. 359 for a family tree which shows one of his sons with a purely Greek cognomen).

الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية في قرطاجة والمدن الثلاث.

اعداد:
د. كمال سالم رزيق
جامعة بنغازي

تأسيس :

تتناول هذه الورقة البحثية جزءاً من نمط الحياة الاجتماعية والثقافية عند القرطاجيين وسكان المدن الثلاث، ولابد من الاشارة الي أن هذا الموضوع غاية في الصعوبة، فالتداخل الكبير بين قرطاجة وباقي المدن الفينيقية علي سواحل بلاد الشام يجعل أمر فصل الحضارة الوليدة في قرطاجة عن حضارة المدن الأم كما يحلوا للبعض تسميتها شبه مستحيل، فالقرطاجيون هم فينيقيون في الأصل، ولكن وجودهم في قرطاجة علي سواحل الشمال الافريقي واحتكاكهم بحضارات السكان المحلين من جانب واحتكاكهم المباشر مع حضارة الرومان من جانب آخر أعطي قرطاجة مزية لا تتوفر في دويلات الساحل السوري.

سنحاول تسليط الضوء علي بعض من جوانب هذه الحياة بما توفر من مراجع وإن كانت شحيحة في الاصل فإن ما حوته من معلومات يحتاج إلي وجود أدلة أثرية مادية تؤكد وقوعه، فالرومان القساة الغزاة أحرقوا المدينة ودمروها بالكامل، وما تبقي منها لا يساعد علي فك رموز هذه الحضارة شمال افريقية، وسنحاول أولاً معرفة البناء الاجتماعي لسكان قرطاجة، ثم نتكلم علي الحياة الثقافية والدينية وسوف نتطرق لعدد من الآلهة التي عبدت في قرطاجة والمدن الثلاث.

كان الفينيقيون من أقدم الشعوب البحرية والتجارية وامهرها، وكانت مدينتا صيدا وصور من أهم المدن التجارية في العالم القديم، حيث كانت سفن هاتين المدينتين تقوم برحلات تجارية إلي شبه جزيرة ايبيريا الغنية بالمعادن منذ عام ألف ق.م، وكانت تلك السفن تفضل الإبحار بالقرب من السواحل خوفاً من الرياح الشديدة ومن اعتراض القراصنة الموجودين في عرض البحر، بالإضافة الي سهولة التزود بالمؤن والماء من الأماكن القريبة من الشاطئ، وأثناء ذلك لابد وأنهم أدركوا أهمية شواطئ سواحل غرب ليبيا من الناحية التجارية، حيث مثلت هذه المنطقة منذ القدم حلقة وصل للمنتجات القادمة من وسط افريقيا التي من أهمها الذهب والأبنوس والعاج وريش النعام، ولقد أسس الفينيقيون عدة محطات تجارية علي طول السواحل الشرقية والغربية من ليبيا، فبعض هذه المحطات أنشئت في الفترة ما بين القرنين السابع والسادس ق.م، وأهم هذه المحطات ليبتس وأويات وصبراتن، بالإضافة إلي العديد من الموانئ

مثل كاراكس، وتشير المصادر إلي أن الفينيقيين أسسوا هذه الموانئ والمحطات التجارية فقط لغرض مساعدتهم للقيام بالعمليات التجارية، ولم يكن بسبب أطماع سياسية أو استعمارية، وإن كنا نتفق مع هؤلاء في أن المرحلة المبكرة من إقامة المحطات التجارية لم تكن بغرض السيطرة أو الاستيطان، إلا أن الأمر اختلف في المرحلة لتالية، خاصة عندما بدأ الاغريق نشاطهم التجاري في حوض البحر المتوسط حيث اشتد الصراع علي مناطق النفوذ بين القوتين البحريتين الأقوى في تلك المرحلة، ويمكن القول بأن العلاقات بين سكان هذه المحطات والتجار الفينيقيين في البداية كانت جيدة، حيث حدث نوع من ازدهار حركة التجارة والاقتصاد لم يألفه الناس من قبل، حيث وصل عدد هذه المحطات الي ما يقارب عشر محطات موزعة علي طول الساحل الغربي من ليبيا.

كانت البضائع التي تحملها المراكب الفينيقية عبارة عن أدوات معدنية وأصباغ وزجاج وينقلون ما توفر من بضائع لدي السكان المحلين، والتي في مجملها عبارة عن ما يحصلون عليه من التبادل التجاري مع وسط افريقيا.

وصلت السفن الفينيقية إلي عدة مناطق في العالم، وكانت لهم علاقات تجارية مع مصر الفرعونية وشبه جزيرة ايبيريا وقبرص وصقلية وسردينيا والعديد من جزر البحر المتوسط، حتى أنهم قصدوا السواحل البريطانية بهدف الحصول علي القصدير مقابل الملح والأواني النحاسية والخزف .

كان للفينيقيين نوعان من السفن، تجارية وحربية، السفن التجارية عبارة عن شكل مستدير بمقدمة علي شكل عنق ورأس طير ومؤخرة مرتفعة، حيث عُثر علي أقدم رسمٍ للسفن التجارية الفينيقية في مصر الفرعونية، وبالتحديد في مدينة طيبة منقوشاً علي جدران قبر أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة (1).

أما السفن الحربية فقد كانت تأخذ الشكل المستطيل، ولها مؤخرة مرتفعة ومقدمة غالباً ما تكون في مستوي الماء مجهزة بكتلة حديدية تستخدم لتدمير سفن الأعداء أو إغراقها في البحر .

كان لابد من هذا التأسيس حتي نتعرف علي الأسباب الحقيقية من وراء إقامة قرطاجة ومن بعدها المدن الثلاث علي سواحل غرب الشمال الافريقي.

نشأة قرطاجة :

قبل الحديث عن مكونات المجتمع القرطاجي، نقدم بسطةً تاريخية عن نشأة المدينة وتأريخها السياسي، تقع قرطاجة في خليج اوتيكينيس الذي يوفر لها الحماية من جهني الشرق والغرب، وتعددت روايات نشأة قرطاجة والاختلاف حول مكانتها الجغرافية وسنة تأسيسها، والمؤسس هل كان ذكراً أو أنثي فرداً أو جماعة، وقبل الدخول في هذه التفاصيل نتكلم أولاً عن تسمية المدينة، فهي عند الفينيقيين تسمي

"حاد أثت" بمعني المدينة الجديدة تيزاً لها عن مدينة "أوتيكا" أي القديمة التي أسسها الفينيقيون في 1100 ق.م وأطلق عليها الإغريق اسم "كركيدون" وسماها الرومان "كارثاجوا" وهو الاسم الذي اشتق منه الاسم العربي "قرطاجة"، وينسب تأسيس المدينة الي مجموعة من أهالي صور قادتهم أميرة تدعي "عليسة" ابنة ملك صور بعد أن هربت من طغيان أخيها " بجاليون" الذي قام بقتل زوجها "ذاكر بعل" القائم علي الشؤون الدينية في مدينة صور، واتجهت الأميرة ومن كان معها الي سواحل شمال افريقيا حتي وصلوا الي المكان الذي أقيمت فيه المدينة حوالي 814 ق.م، واعتبرت المدينة نفسها جزءاً من مدينة صور، وكانت كل عام ترسل القرابين الي معبد "ملك قارت" إضافة الي عشر دخل المدينة. ويبدو أن هذا قد تم وفق تسوية سياسية مع ملك صور، لكن الأمور تبدلت في القرن السادس ق.م عندما تبدلت الامور السياسية لغير صالح مدينة صور التي تعرضت للغزو الأشوري بقيادة "نبوخذ نصر" .

لعبت قرطاجة دوراً مهماً في البحر المتوسط من الناحية السياسية والتجارية، حيث قامت بتأسيس عدد من المستعمرات التجارية في جزيرة "ايفيشيا" و "سردينيا " وشبه جزيرة "ايبيريا" وذلك في حوالي عام 650 ق.م، كما أسسوا مستعمرات أخرى علي سواحل "مينوركا" في جزيرة "البليار"، كما أنهم اتجهوا شرقاً لسواحل ليبيا الغربية حيث أسست قرطاجة امبراطورية ممتدة حتي أعمدة هرقل، حيث اشتهرت من بين هذه المستعمرات لبتس واويات وصبراتن.

المكون الاجتماعي لقرطاج :

تناولت المصادر الأدبية و النقوش التي تم العثور عليها في المقابر معلومات هامة تخص مختلف فئات المجتمع القرطاجي مثل تلك العائلات التي اكتسبت شهرة في المجال السياسي والعسكري في قرطاجة أو العبيد الذين كانوا يعملون في المدن وفي زراعة الأرض، ومعلومات مهمة عن الوظائف والمهن .

عند الحديث عن تأسيس المدينة، يلاحظ الانتماء الارستقراطي للمؤسسين، فعندما جاءت الأميرة عليسة إلى قرطاجة أحضرت معها عدداً من الشيوخ والكهنة، وهذا يجعل لقرطاجة منذ تأسيسها قيمة ومكانة تختلف عن الطابع المعتاد للمستوطنات الفينيقية الأخرى، ويلاحظ وجه التشابه بين قرطاجة وبين دويلات المدن الإغريقية التي أسستها الطبقة الارستقراطية، وقرطاجة قامت على ارستقراطية تجارية قوية لها سلطة سياسية (1).

المجتمع القرطاجي مجتمع حضري ويتكون من مجموعة يعرفون بالقرطاجيين الأحرار، وهم الذين يتولون الوظائف المهمة في الدولة ويشرفون على أمور الدولة من الناحية السياسية والإدارية والاقتصادية والدينية، ويتوجب أن يكونوا من أصحاب الثراء والجاه إضافةً الي الكفاءة والقدرة، ومن كبار التجار وأصحاب العقارات في المدينة والريف(2)، فهم الذين كان باستطاعتهم إقامة المشاريع الصناعية

والتجارية والزراعية، و يملكون أساطيل تجارية مجهزة يحمّلون فيها البضائع المختلفة التي توزع على مختلف الموانئ والأسواق في البحر المتوسط وتكسبهم ارباحاً كبيرة فيزدادوا نفوذاً وسيطرةً على الحكم في المدينة، وقد زاد نفوذهم في القرن الثالث ق.م، ويأتي بعدهم الحرفيون الذين يعملون في مختلف الصناعات والحرف كالتجارة والحدادة، كذلك صناعة المجوهرات وصناعة الفخار، وينضم إلى هؤلاء أصحاب الأراضي والصيادين، وينتمي إلى هذا الصنف بعض الأطباء والمدرسين والمهندسين، كذلك الذين يعملون في دواوين الإدارة (3) الي جانب هؤلاء كانت قرطاجة تضم من بين طبقاتها العديد من الأجانب، كالنوميديين والليبيين والإغريق وبعض الرومانيين الذين جاءوا إلى قرطاجة للبحث عن العمل أو نزحوا قسراً من بلدانهم (4) .

المجتمع القرطاجي كغيره من المجتمعات القديمة توجد به أعداد من العبيد، إذ يعتمد على هذه الطبقة في تنشيط الاقتصاد، فكان للدولة عبيدها، كما كان من حق الأفراد امتلاك عدد من العبيد ذكوراً و إناثاً يختلف عددهم باختلاف مستوى الثروة والحاجة (5)، فكان العبيد يعملون في المناجم والمصانع والمزارع وخدمة البيوت، وتجب الإشارة إلى أن العبد في قرطاجة كان معترفاً به كإنسان، وله حق بعض الملكية و يقوم بواجباته الدينية، ويحق له الزواج. (6)

كانت للمرأة القرطاجية مكانة عالية، وكانت مؤهلة للإسهام بقسطها في تنشيط الاقتصاد وبناء المجتمع حيث أسندت إليها بعض الوظائف الدينية، وبعضهن مارسن التجارة وبعض الحرف المنزلية كالحياكة وغزل الصوف، حيث كن ينسجن الملابس والأغطية وصناعة السجاد وغيرها من الأشياء التي يحتاجها الإنسان في حياته اليومية، (7).

المكون الثقافي القرطاجي :

شهدت الأبجدية الفينيقية انتشاراً واسعاً، حيث قام التجار القرطاجيون بنقلها إلي أغلب الشعوب التي وصلت اليها مراكبهم بحكم تجوالهم واحتكاكهم بالحضارات الأخرى كالإغريق والرومان، واتقانهم لغات تلك الشعوب التي تعاملوا معها، وبقيت لغة قرطاجة متداولة على ساحل شمال إفريقيا لمدة خمسة قرون (8)، وتسربت هذه اللغة إلى الممالك المحلية النوميدية، فكانت النصوص الرسمية تكتب بالحروف واللغة القرطاجية التي أدخلها الفينيقيون إلى شمال إفريقيا (9)، واعتنت قرطاجة بالتعليم داخل المدينة وفي الأرياف، وتم العثور علي مجموعة من المحابر والمساطر المصنوعة من العاج والعظم، واستعملت أوراق البردى في الكتابة، وكانت الأقلام تصنع من القصب (10) والسخام (11) ويشار إلى أن ماسينسا تلقي تعليمه في قرطاجة (12).

كان القرطاجيون محافظين على لباسهم الشرقي التقليدي كالجبة الطويلة الواسعة الاكمام والقلنسوة غطاءً للرأس، لكنهم لم يرفضوا التأثر بالزي المحلي المعروف كالكدرون والبرنس (13) ويبدو أن

القرطاجيين لم يكونوا مهتمين برشاقة الجسد كالإغريق، واعتبروا السمنة الخفيفة دلالة على النجاح في الأعمال، وتجب الإشارة إلى أن الإغريق أول من أدخل الملابس القصيرة والآلهة العارية إلى شمال إفريقيا، ومن المرجح أن هذا النوع من الزي القصير لم يكن مقبولاً في المجتمع القرطاجي (14) وتشهد الرسوم الحائطية المصرية على أن الفينيقيين كانوا يفضلون بشكلٍ عام الملابس الزاهية المطرزة المتعددة الألوان (15)

اهتم القرطاجيون بالعمارة، فكانت قرطاجة تزدحم بالمباني العامة مثل الميناء الحربي والساحة العمومية الواقعة بين الميناء الحربي وبين بيرصة، إذ لعبت هذه الساحة دوراً كبيراً من الناحية التجارية والسياسية والدينية، إذ يوجد في هذا المكان مجلس الشيوخ، والمحكمة، فكان القضاء يصدرون الأحكام وينظرون في الدعاوي، كذلك يوجد في هذه الساحة السوق ومعبد الإله أبولو ودار الندوة، حيث يجتمع الشعب لمناقشة أمور المدينة، ومن المؤكد وجود أسوار تحيط بهذه الساحة، حيث اشار بوليبس إلى ذلك فقال إن القائد "حنو" حوالى منتصف القرن الرابع ق.م أراد كسب الشعب واستمالته، فجهز مأدبة فاخرة تحت الأروقة العمومية، وشيدت العديد من الطرق في المدينة حيث امتدت ثلاثة منها من الساحة العمومية إلى هضبة بيرصة حيث شيد معبد اشمون حامي المدينة، وبنيت على جوانب هذه الطرقات بيوتاً (16) جمعت بين المنازل البسيطة بسقوف مسطحة أو مقببه ومطلية باللون الأبيض، وبين المنازل العالية ذات ست طبقات، وهذا النمط من المساكن كان موجوداً في بلاد فينيقيا، ويلاحظ التأثير الإغريقي علي العمارة القرطاجية، فهناك الأعمدة الايونية والمسلات الحربية، إذ لم يقتصر التأثير الإغريقي على الجانب المعماري بل كانت هناك مؤثرات كثيرة أخرى في الادب والفكر الديني، ذلك على الرغم من العداوة بين العنصرين القرطاجي والإغريقي (17). أما الأثاث فالمعلومات تكاد تكون معدومة حوله، إلا أن بعض التمائم التي تم العثور عليها تعرض بعضها كهيئة عرش الآلهة والمقاعد التي لا ظهر لها ولا ذراعين، كذلك بعض الكراسي البسيطة الواسعة والثابتة المزودة بالظهر، وبذلك تم عن طريق هذه التمائم معرفة أنواع المقاعد في الفترة القرطاجية (18).

الحياة الدينية في قرطاجة :

لعب الدين في حياة الفينيقيين، كما في حياة جميع شعوب العصور القديمة، دوراً مهماً، وتم التعرف على ديانة ذلك الزمان عن طريق النصوص الدينية التي تم اكتشافها في مدينة اوغاريت التي ترجع إلى القرنين الرابعة عشر والثالثة عشر ق.م، إذ توضح هذه النصوص التطابق بين الآلهة الفينيقية والإغريقية والرومانية، إذ يعتبر الإله ملكارت الإله الرئيسي للمستعمرين الفينيقيين، فيأتي اسم ملكارت بمعنى ملك "ملك ملكارت"، كذلك يسمى ملكارت (حاكم سير) بعل صور، ويعتبر ملكارت من البعول المحلية "حاكم بيبلوس" أما عند الإغريق فإنه يوازي كلمة "ارشغيت" لقب بعل. وقد ذهب أيليا اريستيد إلى حد التمييز بين مهام الاله أبولون كمنقذ ومهامه كزعيم، فيظهر إلى البداية كمرسل للمستعمرين لبناء

مدن ومستوطنات جديدة، وفيما بعد يظهر كمسئول وزعيم مباشر على هذه الحملات، وهكذا عرف ملكارت الغرب كزعيم للاستعمار (19).

كانت العبادة في قرطاجة تتشابه وعبادات فينيقيا حيث نشأت أصلاً (20) إذ تتبع في الأصل بشكل أو بآخر نمط الحياة الدينية في مدينة صور (21)، أما أهم المعبودات في مدينة قرطاجة فهي:

بعل آمون :

هو واحد من أكثر العبادات انتشاراً في المستوطنات الفينيقية في الغرب، وكان إلها شمسياً يعبر عنه بشكل الشمس، وحيوانه الثور الذي يصور في بعض الأحيان وقرص الشمس بين قرونه، إذ كان الجزء الأساسي من عباداته تقديم الذبائح البشرية (22)، كذلك يعتبر الإله آمون من أشهر الهة قرطاجة إذ كانت عائلة ماجو تعتبره الإله الذي يسهر على رعايتها، ومع هذا فإنه بتراجع هذه العائلة بعد هزيمتها في معركة هيميرا عام 480 ق.م تراجع معها نفوذ بعل آمون وبدأ ظهور الإلهة "تانيت" (23).

الإلهة تانيت :

برزت الإلهة تانيت في القرن الخامس ق.م، واحتلت المرتبة الأولى في النقوش الخاصة بالنذور (24) وهي من أصل محلي لها دلالات الخصوبة (25)، وتأتي بمعني القمر، ووجدت قرية بالقرب من مدينة قرطاجة تحمل اسم تانيت (26) رمزوا لها بمثلث له رأس وذراعان يوحي بهيكل أنثوي يرتدي تنورة، وغالباً ما كانت صورة الإلهة تانيت مقترنة بصورة مثلث على المسلات العديدة التي تم العثور عليها في معابد قرطاجة، إذ كانوا يعتقدون أن الشكل المثلثي له قوة للحماية من التأثيرات السيئة والعين والحسد (27).

أشمون :

هو في الأصل معبود صيدا، وقد شبهه الإغريق بمعبودهم اسكليبنيوس، وكانت وظيفة الإله اشمون أنه يشرف على الشفاء، بالإضافة إلى خصائص الخصوبة، وأصبح الإله اشمون معبوداً أكثر قوة في مدينة قرطاجة، إذ وقف القرطاجيون في دفاعهم الأخير عن مدينتهم في عام 146 ق.م عند معبد أشمون الذي كان يوجد في قلعة المدينة، وبالتحديد في منطقة بيرصه، وهي أقدم جزء في مدينة قرطاجة (28).

ملكارت :

يعتبر الإله المفضل لدى عائلة البرسيديين (29) الكبيرة، حيث كانت أسماء عديد من العائلة مشابهة لاسم الإله، من أمثال بومليكار واميلكار(30)، وهو إله القوة والبطولة، انتشرت عبادته من

صور إلى قرطاجة مروراً بقبرص ومصر، وكان في الأصل معبوداً شمسياً، ثم اكتسب خصائص بحرية بعد أن انتقل غرباً عبر البحر المتوسط (31).

الإله رشف :

هو إله رأس شمرا، ويشار إليه كإله فلكي للبرق و الضوء، وقد عبد في مدينة قرطاجة (32).

احتفظت قرطاجة في بداية تأسيسها بالكثير من المظاهر الأصلية للديانة الفينيقية في المدينة ولكن في القرن الخامس ق.م اتخذت لنفسها منحي مستقلاً (33)، إذ يذكر بيكار أن هناك تغيير كبير طرأ على الديانة السامية في قرطاجة في هذه الفترة، حيث أفسح فيها الثنائي ملكارت وعشتروت المجال أمام بعل آمون وتانيت، هذا ما تؤكده بعض الأنصاب الحجرية التي تم العثور عليها للإله بعل وحده ويري "بيكار" أن حدوث مثل هذا التغير يرجع إلى انقطاع الصلات الدينية بين قرطاجة وبين المدينة الأم صور (34).

أقيمت العديد من المعابد في المستوطنات الجديدة، إذ وجد على رؤوس المرتفعات في مدينة قرطاجة العديد من المعابد، كان أحدهما مكرساً لعبادة الإله ملكارت، إله صور الشاب، حيث كان الإغريق يطلقون عليه معبد كرونوس، وكذلك يوجد معبد آخر بالقرب من (سيدي بوسعيد) خاص بالإلهة ديميترا التي كانت عبادتها مشتركة مع عبادة عشتروت (35) في المراحل الأخيرة من تاريخ قرطاجة (36)، وكان رجال المعابد والكهنوت يتمتعون بمكانة وهيبة كبيرة، ويلبسون ثياباً خاصة بهم وكان لهم العديد من المساعدين يقومون على خدمة المعابد(37).

بدأت التأثيرات الإغريقية بالسيطرة في قرطاجة منذ القرن الرابع ق.م، فمنذ ذلك الوقت وصاعداً غدت الأدوات المخصصة للعبادة والتماثيل والعمارة، بل حتى التوابيت، ذات طابع إغريقي، ومن صنع فنانين إغريقيين في كثير من الأحيان (38)، أما العبادات القرطاجية فهي لم تتأثر كثيراً بالديانة الإغريقية على نطاق واسع رغم أنهم لم يكونوا على الاطلاق بمنأى عن تأثيرها، فقد أقرت عبادة الإلهة ديمتر والإله كوري رسمياً في المدينة (39)، وكانت التضحية البشرية من الطقوس التي عرفتها العديد من حضارات العالم القديم في مراحل تاريخية مختلفة (40).

إن عادة التضحية بالأبناء عن طريق الحرق تعد أكثر المظاهر الثقافية في المناطق ذات الأصول الفينيقية المنتشرة في حوض البحر المتوسط، حيث تم الكشف على هذه الظاهرة في مدينة قرطاجة وهادروميتوم بتونس وقسطنطينة بالجزائر وفي صبراتن بليبيا، وعرفت هذه العادة باسم التوفت، وتتم هذه الظاهرة بالتضحية بالابن البكر من الأطفال، وكانت قد عُرفت في فينيقيا منذ بداية عصر الحديد منذ عام 1200 ق.م، وكانت مقتصرة على العائلات الملكية والارستقراطية، وتراجعت التضحية بالبكر في القرنين السابع والسادس ق.م في فينيقيا، أما في قرطاجة فيثبت للقرطاجيين نماذج متكررة في عادة تقديم

القرابين بحرق الأطفال حيث كان القرطاجيون يضحون بالأطفال عندما يريدون أن يحدث أمر هام (41) فعثر في معبد الالهة تانيت في سالامبو قرطاجة على مقبرة ضمت رفات هؤلاء الأطفال الذين تم حرقهم وتقديمهم للقوى الإلهية، وكانت الآلهة تانيت من أهم تلك القوة الالهية القرطاجية(42) بالإضافة إلى ذلك عرفت قرطاجة نوعاً آخر من التضحية البشرية يقوم به بعض القادة العسكريين عند هزيمتهم في المعارك، فكان يجب على القائد عند دخوله إلى مدينة قرطاجة أن يبرهن على إخلاصه لوطنه بأن يلقي بنفسه في نار أحد المعابد(43) ويجدر الإشارة إلى أن تم الاستغناء عن التضحية البشرية أحياناً بالتضحية ببعض الحيوانات والطيور أو برموز تضحية بشرية، حيث يقوم الكهنة بضرب أنفسهم بقوة حتى الدماء منهم وتلطخ المذبح أو تفتدي حياه الطفل بغلفته، ومن هنا جاءت لديهم عادة الختان، وفي بعض الاحيان يأخذ الكهنة مبلغاً من المال ويقدمونه للإله قرباناً(44)، هذا ما يخص مدينة قرطاجة أما المناطق الممتدة على طول الساحل الغربي من قرطاجة فقد تطبعت بالطابع القرطاجي سواء في الناحية الدينية أو الناحية الاجتماعية، حيث استمرت عندهم عادة حرق الأولاد الصغار وتقديمهم كقرابين للآلهة وخاصة الإله بعل والإلهة تانيت.(45)

كانت عملية دفن الجثث هي أكثر طقوس الدفن انتشاراً (46)، لكن إحراق الجثث كان يحصل أيضاً في حالات الدفن العادية، إضافة إلى حالات الدفن القربانية (47)، كذلك لوحظ الطقس نفسه (حرق الموتي) في مدافن رجعون في الجزائر، واختفت عادة إحراق الجثث في قرطاجة في القرن السادس ق.م

يوجد تشابه كبير بين القرطاجيين وفينيقيي الشرق فيما يتعلق بالاعتقاد بالعالم الآخر من حيث تزويد المعابد ببعض الاحتياجات اليومية والرئيسية التي يحتاجها المتوفي، وكذلك بتماثيل القوى الالهية لكن في قرطاجة أضيفت إليها الأقنعة الواقية من القوى الشريرة، ويلاحظ أن اعتقاد القرطاجيين بالعالم الآخر لم يكن ثابتاً أو واحداً، فبينما كان البعض يتجهون إلى الطريق التقليدية في دفن الجثث كان هناك البعض الآخر يتجه إلى حرقها.

المدن الثلاث :

أسس الفينيقيون عدة محطات تجارية علي طول السواحل الشرقية والغربية من ليبيا، فبعض هذه المحطات أنشئت في الفترة مابين القرنين السابع والسادس ق.م، وأهم هذه المحطات ليبتس واويات وصبراتن بالإضافة الي العديد من الموانيء مثل "كاراكس"، وتشير المصادر إلي أن الفينيقيين أسسوا هذه الموانئ والمحطات التجارية فقط لغرض مساعدتهم للقيام بالعمليات التجارية، ولم يكن بسبب أطماع سياسية أو استعمارية، وان كنا نتفق مع هؤلاء في أن المرحلة المبكرة من إقامة المحطات التجارية لم يكن بغرض السيطرة أو الاستيطان، إلا أن الأمر اختلف في المرحل التالية، خاصة عندما بدأ الاغريق نشاطهم التجاري في حوض البحر المتوسط، حيث اشتد الصراع علي مناطق النفوذ بين القوتين

البحريتين الأقوى في تلك المرحلة. ويمكن القول بأن العلاقات بين سكان هذه المحطات والتجار الفينيقيين في البداية كانت جيدة، حيث حدث نوع من الازدهار في حركة التجارة والاقتصاد لم يألفها الناس من قبل حيث وصل عدد هذه المحطات الي ما يقارب عشر محطات موزعة علي طول الساحل الغربي من ليبيا.

المكون الاجتماعي للمدن الثلاث :

أولاً: التركيبة السكانية في المدن الثلاث، فإن المعلومات تقتصر على مدينة ليبتس ذلك من خلال النقوش التي تم العثور عليها في هذه المدينة، والتي تشير إلى وجود هيئتين بارزتين في ليبتس وهما "الادرا" أو "ادرانم"، وتعني القادرون أو السادة، والثانية (عم) (الشعب) وبناء على ما ورد في مخطوطه كلكاري، فإن الطبقة الأولى أدرنم تعتبر أعلى طبقة في السلم الاجتماعي الفينيقي، حيث كان أفراد هذه الطبقة من الأثرياء وأصحاب النفوذ الذين لهم الحق في تقلد الوظائف العليا.

إن المعلومات عن الأوضاع الاجتماعية في المدن الثلاث قليلة، ولكن بالنظر إلى تبعية هذه المدن وخضوعها للسيطرة القرطاجية وقربها من قرطاجة وارتباطها بها. فلا بد وأن يكون لذلك تأثير حضاري في النواحي الاجتماعية كذلك الاقتصادية والسياسية (48)، حيث أن سكان المدن الثلاث (الليبوفينيقي) وسكان قرطاج لهم نفس القواسم المشتركة في نمط الحياة، وهو أمر أكده بولبيوس من خلال حديثه عما تضمنته الاتفاقية المبرمة بين حنا بعل وفيليب ملك مقدونية، وهو أن القرطاجيين والليبوفينيقي كانوا متساوين في الحقوق، ويذكر أرسطو أن أفراد الطبقة الأولى في قرطاجة يتمتعون بجميع الحقوق ويعفون من التجنيد والضرائب، وكان الحال كذلك بالنسبة لسكان إقليم المدن الثلاث من الليبوفينيقي فهم يتمتعون بنفس الحقوق ويمثلون مصالح قرطاجة في المناطق الأخرى، أما عامة الشعب فقد كان وضعه مماثل لوضع مثيلتهما في قرطاجة، حيث يخضعون للتجنيد الاجباري، وفرض عليهم دفع الضرائب الباهظة أيضاً.

ومن خلال ما سبق يمكن القول إن تركيبة المجتمع المدن الثلاث تنقسم إلى:

1- طبقة الأقوياء (السادة): وهي تتكون من الارستقراطيين الأثرياء من الليبيين الفينيقيين، وكانوا يتمتعون بجميع الحقوق.
2- طبقة نصف الاحرار: وربما يقصد بهم الليبيون المقيمون في نطاق المدينة نظراً لعدم تمتعهم بجميع حقوق المواطن، ويدفعون الضرائب، ويجندون إجبارياً.
3- طبقة العبيد: وهم المحرومون من جميع الحقوق ولم يستطيعوا التخلص من هذا الوضع إلا عن طريق استرجاع حريتهم أو منحها لهم من قبل مالكيهم (49).

المكون الثقافي للمدن الثلاث :

بعد أن استقر الفينيقيون على الساحل الغربي من ليبيا جلبوا معهم حضارتهم وثقافتهم، وساهموا بذلك في نشر المعرفة بين السكان، ونقلهم من ثقافة العصور الحجرية البدائية إلى ثقافة العصور التاريخية(50)، إذ لم يلق هذا الاستقرار الثقافي الفينيقي أي صعوبات تذكر، فكان التعاون التام بين السكان المحليين والمستوطنين الفينيقيين(51) الذين برعوا واهتموا بالعلوم والآداب باختلاف أنواعها فابتدعوا الأبجدية التي تتكون من 22 حرفاً جامداً، ولا يوجد بها حرف واحد متحرك، وقد نقلوها إلى سكان حوض البحر المتوسط بما فيها المستعمرات الفينيقية على ساحل شمال إفريقيا مثل قرطاجة وأويات وصبراتن، ويبتس، حيث استعملت هذه الابجدية في إقليم المدن الثلاث حتى العصر الروماني(52) وأصبحت اللغة الفينيقية هي السائدة في الإقليم وخاصة مدينة ليبتس، إذ تشهد على ذلك النقوش التي تم اكتشافها في بعض الأبنية كما في قرزه ووادي العمود ووادي المردوم (53)، وفي العصر الروماني أصبحت اللغة الفينيقية هي لغة المنزل، واللغة اللاتينية هي اللغة الرسمية في مدينة ليبتس(53) ،أما الملابس فلا بد أن الفينيقيين الذين جاءوا إلى ليبيا قد استمروا في اتباع ثقافتهم الأولى من حيث ملابسهم التي ظلت في شكلها المعتاد والتي سبق أن ذكرتها عند الحديث على اللباس في مدينة قرطاجة، ويمكن الحكم على المظهر الخارجي للسكان الليبو فينيقي في إقليم المدن الثلاث عن طريق التماثيل الحجرية التي عثر عليها في معبد صغير في مدينة ليبتس الكبرى،، ويرجع تاريخها إلى القرن الثاني ق.م(54) ومن الموروث الثقافي عند الفينيقيين تسمية الابن باسم الجد والعمل على تسجيل أو نقش أسماء الآباء والأجداد لتأكيد نسبه الشخصي أو العائلي، كذلك كانوا يقومون بتسمية الطفل وربطه باسم الله حتى يحميه منذ ولادته حتى وفاته، فقد عثر على بعض النقوش الفينيقية في إقليم المدن الثلاث والتي كثيراً ما تتكرر في آخرها عبارة "سمع دعاه وباركه"، كذلك من العادات الأخرى التي مارسها الفينيقيون عادة الختان الذي تخلوا عنها بعد الاحتكاك بالإغريق، ومن العادات الغذائية اجتناب لحم الخنزير، إذ يبدو أن الفينيقيين القاطنين في إقليم المدن الثلاث كانوا يتجنبون أكل لحم الخنزير، ولا يستخدمونه كقربان للآلهة، حيث دلت الاكتشافات الأثرية على تقديم الاضاحي الحيوانية المعتادة مثل الماعز والبقر والغزال كقرابين(55)

فنون العمارة في المدن الثلاث :

إن أكثر المباني السكنية في إقليم المدن الثلاث في العصر الفينيقي أصبحت غير معلومة، ويرجع ذلك إلى إقامة المدن الرومانية فوقها، بالإضافة إلى عدم وجود مصادر أدبية بهذا الخصوص(56) وما يتوفر من معلومات تكاد تكون غير كافية لإعطاء صورة واضحة عن التخطيط العمراني داخل الإقليم ذلك بسبب قلة أعمال التنقيب في هذه المدن، حيث اقتصرت على مجسمات قليلة، والكشف عن بيوت الفينيقيين القرطاجيين يوضح أن هذه البيوت التي كان يسكنها العامة في قرطاجة كانت تقام على أساس من الحجارة وتبني بالطين، وكانت الشوارع ضيقة والبيوت متلاصقة، أما البيوت الكبيرة والضخمة فقد

كانت تبني في أطراف المدن لسكن الأثرياء من الطبقة الارستقراطية، مع ذلك فقد ساعدت الحفريات التي أقيمت في السنوات الأخيرة في الميدان القديم بمدينة ليبتس الكبرى على التعرف على طريقة البناء عند سكان إقليم المدن الثلاث، حيث كشف عن وجود مبني مقام على الأرض الرملية البكر وهو على شكل مربع مقسم إلى غرف مختلفة الأحجام، ويستدل من الجرار الفخارية التي وجدت مدفونة جزئياً في أثنين من غرفه على أنه ربما كان يستعمل كمخزن(57)، كما عثر على مصاطب رملية يرجح أنها كانت أساسات لأكواخ موقتة وجدت بداخلها أواني فخارية إغريقية وجرار فينيقية يرجع تاريخها إلى أواخر القرن الخامس ق.م(58).

وتجب الإشارة إلى أن هذه الأدلة قد جاءت عن طريق مجسات محدودة، فإنه يصعب الاعتماد عليها، كدليل على طبيعة الاستقرار المبكر في مدينة ليبتس(59)، أما المواد التي كان يستخدمها السكان في البناء فهي الأخرى لا يوجد عليها الكثير من المعلومات، ويرجع ذلك إلى سببين: الأول هو استخدام مواد ضعيفة في البناء مما ساعد على زوالها كالحجر الرملي الهش، والسبب الثاني: هو قيام المباني الضخمة من الحجر الجيري والجرانيت التي ترجع إلى العصر الروماني، حيث اقيمت هذه المباني على أنقاض المباني السابقة لها وبذلك منعت الأثريين من الوصول إلى بقاياها، إذ لم يعثر على أثر لمبنى يرجع إلى العصر الفينيقي خارج مدينة ليبتس وصبراتن، فيما عدا القبور المنحوتة تحت الأرض والمنتشرة في أماكن عديدة على ساحل الإقليم، إلا أن استخدام الطين (الأجر) من قبل الفينيقيين يوجه الاهتمام إلى نوع المباني التي بنيت من حجارة صغيرة، أو من الطين المضغوط بين حائطين من الأحجار الأكبر حجماً وقد عثر على آثارها في مزارع المنطقة الجبلية، واعتبرها البعض متأثرة بتقاليد البناء الفينيقي وهكذا يكون الطين أحد المواد التي استخدمها الفينيقيون في معظم المدن الثلاث واستمرت حتى العصر الروماني(60). كذلك تؤكد الدلائل الأثرية على وجود مؤثرات للفن الإغريقي والفينيقي في إقليم المدن الثلاث، وقد تبين ذلك من دراسة قام بها "دي فيتا" لبعض المباني في مدن الإقليم ومن بينها الضريح البونيقي في صبراتن، وهذا الضريح يرجع إلى بداية القرن الثالث ق.م، وهو عبارة عن مبنى ضخم ثلاثي الشكل، وقد كان تصميمه مرتبطاً بالفن المعماري الهلينستي مع أن الزخرفة النحتية للأوجه الثلاثة المقوسة متأثرة بالفن الشرقي الإغريقي إلا أن التأثير الفينيقي كان واضحاً في المبنى(61)، أما أثاث البيوت في إقليم المدن الثلاث فلم يتعرف عليه إلا ببعض ما وجد من أثاث جنائزي، وبذلك تم التعرف على أنواع عديدة من المصابيح التي تستعمل في إضاءة البيوت، فمنها المسطحة والكروية الشكل، وأغلبها احادية العنق، وكذلك مصابيح فخارية تشبه براريد الشاي، كذلك عثر في مدينة ليبتس على أسرّة من البرونز، كذلك يرجح أن الكراسي التي كانوا يستعملونها مصنوعة من الخشب والحجر على غرار كراسى الحجر الموجودة بحمامات ليبتس، والتي تم توفيرها بطلب من السلطات الفينيقية الحاكمة في مدينة ليبتس(62).

الحياة الدينية في المدن الثلاث :

من الناحية الدينية فإن العبادة في إقليم المدن الثلاث كانت للآلهة الفينيقية الرئيسية مثل "ملكارت" (اشمون عشتار) والالهة القرطاجية مثل "بعل آمون"، و"تانيت"(63) والتي يعتقد أنها الهة محلية، وهي إلهة الخصوبة والإنتاج عند القرطاجيين ويرمز إليها بسيدة ترفع طفلها، وأيضاً تمثلت بمثل الجسم واليدين ودائرة تمثل الرأس كما ذكر سابقاً، وقد تم العثور على آثارها بكثرة أثناء عملية إجراء الحفريات في مدينة صبراتن، وقد صنعت بالفسيفساء، وهي محفوظة الآن في متحف مدينة صبراتة(64).

المعابد :

انتشر بناء المعابد في إقليم المدن الثلاث، ووجد العديد منها في مناطق مختلفة ومتفرقة من وادي الحياة، ووادي الشاطئ وأودية مزده وبنى وليد وحوله أودية خليج سرت(65) وقد بنيت هذه المعابد على طراز معماري مختلف متأثرة كثيراً بالطابع الإغريقي، كانت توجد وظيفة الكهنة الذين كانوا يتوارثون هذه الوظيفة في عائلاتهم، كذلك كان سكان الإقليم يؤمنون بوجود العالم الآخر حيث عثر على العديد من المقابر في اويات (قرجي) وفي مقبرة "مليتا" غربي صبراتن تحتوي على الاحتياجات الرئيسية التي يحتاجها المتوفي.

المقابر وطريقة الدفن :

عثر في إقليم المدن الثلاث على العديد من المقابر التي ترجع إلى الفترة الفينيقية في أماكن متفرقة من مدينة أويات، وهي عبارة عن حجرات صغيرة مربعة تغلق بقطعة من الحجر كذلك في عام 1962م تم اكتشاف الضريح الفينيقي في مدينة صبراتن الذي يعود إلى الفترة ما بين 200− 150 ق.م وكانت العادة أن توضع مع الميت الأدوات التي يستخدمها في حياته اليومية، لذلك يتم عن طريق هذه المقابر معرفة العديد من المعلومات حول أواني الطعام وأدوات الإضاءة ومواد الزينة والتحف والمرايا والحلي وقنينات العطور، أما عملية الدفن عندهم كانت تتم بالطريقة التقليدية وهي دفن الجثث أو حرقه والاحتفاظ برماده في أواني من الفخار والزجاج وكانت بأشكال مختلفة .

مقبرة القرابين في صبراتة :

يرجع تاريخ هذه المقبرة إلى ما بين القرن الثاني ق.م والقرن الأول بعد الميلاد وهي تقع في مدينة صبراتن، يطلق على هذه المقبرة اسم التوفيت وهي مكان لدفن الأطفال بعد حرقهم، ووضع بقاياهم في جرار صغيرة، وفوق هذه الجرار توضع نصب نذرية من الحجر حيث كانت ظاهرة التضحية بالبشر منتشرة عند الفينيقيين والقرطاجيين، إذ كانت تقدم الاضاحي البشرية في أوقات الخطر الشديد وأثناء الكوارث وانتشار الأوبئة مثل الطاعون، وقد استبدلت الاضحية البشرية في صبراتن ببعض الحيوانات كالماعز وغيرها، حيث يتم حفظ عظام هذه للحيوانات في الأواني الخاصة بحفظ رماد الأضاحي.

ما سبق يتضح أن قرطاجة والمدن التي أقامتها في الساحل الشمالي الغربي من ليبيا ظلت لفترة طويلة من تأريخها تابعة للمدينة الأم سياسياً واجتماعياً وثقافياً، وإن كانت هذه التبعية أدبية في كثير من فصولها، ولم تستقل هذه الدويلات الجديدة إلا بعد فترة ليست بالقصيرة، ويمكن القول إن هذا الاستقلال اقتصر علي الجانب السياسي وبشكل طفيف فيما يخص الدين والثقافة.

الهوامش :

[1]–شيحة جمعة: الحضارة القرطاجية موسوعة الحضارات القديمة :بيروت ، دار النفائس و ط1 ، 2011 ص 236.

[3]– قنطر، الحرف والصورة في عالم قرطاج: المرجع السابق، ص 23.

[4]– لام، هارولد، عاصفة من إفريقيا، (ت: شفيق اسعد فريد) ص ص 12–13.

[5]– أبو سعده: المرجع السابق، ص ص 130.

[6]– قنطر: المرجع السابق، ص 30.

[7]– قنطر: المرجع نفسه، ص 24. وللمزيد حول المرأة في قرطاجة

[8]– المستاوي، العباس العربي، التشكيل السكاني في شمال إفريقيا من العصر الحجري حتى عصر الرومان، 14 ق.م، (رسالة ماجستير غير منشورة) طرابلس، اكاديمية الدراسات العليا، 2011، ص ص 115–116.

[9]– قنطر: المرجع السابق، ص 62.

[1]0 الزنجفر: هو سلفور الزئبق يتميز بشدة الحمرة ويستخدم لصناعة أصباغ حمراء توجد زخارف مرسومة بهذه المادة على جدران بعض القبور البونية في عدة مواقعو انظر قنطر: المرجع نفسه، ص .229

11– السخام: غبار الفحم الذي يلتصق بالقدر او بجدران المطبخ: انظر قنطر: المرجع نفسه، ص 300.

12– المستاوي: المرجع السابق، ص 116.

13– شيحه: المرجع السابق، ص 337.

14– مازيل جان، الحضارة الفينيقية الكنعانية: ت ربا الخش ، اللاذاقية ، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1 1998 ، ص 163.

15– تسيركين: بولي بركوفينش، الحضارة الفينيقية في اسبانيا (ت: يوسف أبي فاضل وجروس برس): طرابلس، الشرق، 1988، ص .68

16– صفر، احمد: مدينة المغرب العربي في التاريخ ، ج 1 ، تونس ، دار بوسلامة، ص ص 98–99.

17– شوقي، توفيق الحكيم، قصة الكفاح بين روما وقرطاجة، القاهرة، مكتبة مصر، ط2، ص 26.

[18]– ميادان، مادلين هورس، تاريخ قرطاجة: ت ابراهيم بالش، بيروت ،منشورات عويدات ،ط1، 1981، ص 119.

[19]– تسيركين : المرجع السابق، ص ص 103–112.

20– الخطيب محمد،الحضارة القينيقية : دمشق ،دار علاء الدين، ط2 ، 2007 ، ص .130

21– بروديل، فرناند: موقع قرطاجة في التاريخ الفينيقي، (ت: تاريخ العرب والعالم)، مجلة تاريخ العرب والعالم، بيروت، دار النشر العربية، ع 36، (1981)، ص .51

22– تسيركين: المرجع السابق، ص 124.

23– أبو سعده: المرجع السابق، ص ص 138–140.

24– أبو سعده: المرجع نفسه، ص 140.

25– المستاري: المرجع نفسه، ص 17.

26- الجيلاني، عبدالرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج1، بيروت، منشورات مكتبية الحياه، ط2، 1965، ص 72.

27- غانم، محمد الصغير، المعالم الحضارية في الشرق الجزائري، مليلية، دار الهدي للنشر والتوزيع، 2006، ص ص 146-147.

28- الخطيب: المرجع السابق، ص 130.

29- البرسيديين: هي عائلة قرطاجية اشتهرت أيام الحروب بين قرطاجة وروما 264-146 ق.م ومنها عائلة هاميلكار وابناؤه هانيبال وأسدر وبعل وماجون وكانت العائلة الرئيسية المنافسة لها هي عائلة حنون، انظر بروديل، المرجع السابق، ص 54.

30- بروديل: المرجع نفسه، ص 52.

31- قابيل علاء الدين: لمحات من تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الرياض ، دار الزهراء ، ط1، 2006، ص 227.

32-سعد الله، محمد على، تاريخ سورية القديم، موسوعة الثقافة التاريخية والحضارية، سورية، دار الفكر العربي، ص 32.

33-فرزات، محمد حرب، الديانة الفينيقية، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، ع41-42، جامعة دمشق، (1992) ص ص 58-59.

34- هاردن، دونالد، الديانة الفينيقية (ت: تأثر ديب) موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الثاني، دمشق، دار علاء الدين، ط2، 2007، ص 115.

35-مازيل: المرجع السابق، ص ص 159-160.

36- عشتروت هي الاله فينيقية: كانت في البداية الهة الخصب والقوى المبدعة في الطبيعة، ثم نقلت مهامها إلى عالم الإنسان فأصبحت الهة الحب للمزيد انظر تسيركين: المرجع السابق، ص 119.

37- المستاوي: المرجع السابق، ص 17.

38--هاردن: المرجع السابق، ص 111.

39- تاريخ إفريقيا العام، (ت: السيد أحمد عبدالرحيم وآخرون) حضارات إفريقيا القديمة، مج2، اليونسكو، ط2، 1998، ص 455.

40- ساغس، H.W.H، الحضارة ما قبل اليونان وروما، (ت: سليم خيريك) دمشق، دار الحارث، ط1، 2006، ص 514.

41- الغريفي، محمد رضوان، التضحية بالقرابين البشرية بالعالم الفينيقي، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 124، كتاب آداب الشرق القديم وتلاقي الحضارات، الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1و 2005، ص ص 93-99.

42- الناظوري، جنوب غرب آسيا وشمال إفريقيا، ج3، بيروت، دار النهضة العربية، 1962، ص ص 144-145.

43- مازيل: المرجع السابق، ص 160.

44- قابيل: المرجع السابق، ص 227.

45- قادوس، عزت زكي، آثار العالم العربي في العصرين بين اليوناني والروماني، الإسكندرية، مطبعة الحضري، 2003، ص 379.

46- تسيركين، المرجع السابق، ص 132.

47- الحسيني سيدي، الاساطير الارمية الامورية الفينيقية، القاهرة، كنوز للنشر والتوزيع، ط1، 2011 ص 206.

48- تسيركين، المرجع السابق، ص ص 132-.135

49-الرحيبي، عبدالله الفينيقيون في ليبيا، مجلة قاريونس، بنغازي، جامعة قاريونس، ع1-4 (2008)، ص 67.

50- -افنيير: المرجع السابق، ص 61.

51- قرقوني، حنان، الحضارة الفينيقية، موسوعة الحضارات القديمة، بيروت، دار النفائس، ط1، ص 324.

52- الميار: المرجع السابق، ص 153.

53 –فارس، محمد مصطفى، مواد البناء في إقليم طرابلس في العصر الفينيقي، مجلة آثار العرب، طرابلس، مصلحة الآثار، ع9–10 (1997) ص ص 5– 6.

54–الميار: المرجع السابق، ص 151.

55–الميار: المرجع نفسه، ص ص 154–156.

56– الميار: المرجع نفسه، ص ص 154–156.

57– حامد، النمس، المرجع السابق، ص 14.

58– أبو حامد: المرجع السابق، ص 149.

59– اقنبير: المرج السابق، ص 68.

60– أبو حامد: المرجع السابق، ص 19.

61– اليهسني، صلاح أحمد، طرابلس الغرب، القاهرة، دا\ر الافاق العربية، ط1، 2004، ص 35.

62– سالم، عيسى، الحفائر والاكتشافات الأثرية وشئون المتاحف، مج2، مجلة ليبيا القديمة، طرابلس، وزارة التربية والتعليم، 1965، ص 36.

63– اليهسنى: المرجع السابق، ص 35.

64– تابوريللي، بويشارويللي، مقبرة القرابين الفينيقية بمدينة صبراتة، (ت: محمود الصديق حامد) مجلة آثار العرب، طرابلس، مصلحة الآثار، ع1 (1991) ص 89.

65– الميار، ظاهرة الاضحية البشرية في الديانة الفينيقية، مجلة آثار العرب، طرابلس، مصلحة الاثار،ع11–12/ (1999)، ص ص 15–16.